الجـــمهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشـــعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور . الجلفة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: التاريخ وعلم الآثار

-مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

الحياة الاجتماعية في الأندلس خلال عهد الدولة الأموية (138-422هـ/755-1031م)

ـ من إعداد الطالب:

بن ملوكة الهاني معمر

ـ بإشراف من: د. بودانة وليد

-أعضاء لجنة المناقشة:

-أ.د/ بن حاج ميلود	رئيسا للجنة
-د/ بودانة وليد	مشرفا ومقررا
-د/ برق الأغويني	مناقشا

الموســـــــم الجامعـــــــي:

1447-1448هـ/2025-2026م

الإهداء:

أهدي عملي هذا إلى أعز من رزقني الله حبه، إلى والدتي الحبيبة إلى من قاست معي سنين حياتها بلا تذمر إلى من كانت سبباً في إكمالي لهذا العمل وأدعوا لها الله ربي أن يجعلني وإياها من المقربين لجواره عز وجل، وأدعوه ألا أراها تبكي إلا فرحاً. لله درها.

إلى إخوتي وسندي في الحياة، عندما لم أكن كانوا.

إلى والدي رحمه الله وأسأل الله أن يغفر له ويجعله من اهل الفردوس الأعلى، إلى الذي تمنيت لوكان حاضراً لكن شاء الله أن يذهب دون ذلك.

إلى أستاذي الكريم الذي كان أخاً وسنداً لي قبل كل شيء رزقه الله من طيب رزقه.

إلى أساتذتي جميعا شكركم الله جزيل الشكر على حسن عونك ورحابة صدركم.

أهديها كذلك لأصدقائي الأعزاء ولهم خالص الامتنان على سنين من السرور كانت سببا في صفاء مهجتي ومواصلتي لدربي.

إلى نفسي.

يُمثل التواجد الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية منذ عام 92هـ / 711م إثر الحملة العسكرية الناجحة بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير بداية جغرافيا سياسية وحضارية جديدة في الغرب الإسلامي. فالأندلس التي غدت إقليماً تابعاً لمركز الخلافة في دمشق، خضعت لإدارة نظام "الولاة المعينين"، وهو الوضع الإداري الذي استمر في ضبط التوازنات السياسية والعسكرية للمنطقة حتى منعرج عام 138هـ / 755م، التاريخ الذي أعلن انقطاع التبعية للمشرق وولادة الدولة الأموية المستقلة، غير أن المؤرخين اتفقوا على تسمية تلك الأيام الممتدة بين الفتح وقِيام الدولة بـ "عصر الولاة"؛ وهي الأيام التي شهدت مخاضاً عظيماً تبدلت فيه جِبلّة المجتمع الأندلسي، فاستحال من صبغته اللاتينية النصرانية القديمة إلى صبغةٍ عربية إسلامية ممزوجة بسابقتها، ولم يكن هذا التحول العظيم إلا ثمرةً لما جُبل عليه الفاتحون من كريم السجايا وحُسن المعاملة لأهل الذمة ولا نستثني مساهمة هؤلاء أيضا في حسن الجوار والتنازل لمصلحة البلاد والعباد ، فضلاً عما وقع من مصاهرة وامتزاج بين الدماء، وانتشار القبائل في كُور الأندلس ومُدنها، وتوطين الأجناد في ثغورها ومراكز عمرانها فذلك كان دعما للعلاقات وتوطيدا لها.

فرضت دراسة التطور الاجتماعي لعصر الولاة نوعا من المقاربة بوصفه مرحلة "الهيكلة والتأسيس" للقاعدة البشرية، في حين أن الملامح الحضارية والاجتماعية النهائية واستقرارها لم تتبلور بشكل قطعي إلا في عهد الدولة الأموية، أو ربما على سبيل الدقة نقول إن ولادتها الجديدة بدأت خلال هذه الفترة فالتاريخ يقول إنه خلال فترة حكمهم لم تتوقف عملية صقل هذه الملامح على الاطلاق بل انقطعت فقط مع سقوط الأمويين وانبثقت بشكل آخر لاحقا.

لاحقا خلال التجربة الأموية بقرطبة، نجحت السلطة في صون المقومات الجغرافية والبشرية للأندلس، ومقاومة كافة الانقسامات الداخلية والتهديدات الخارجية، فضلا عن الاستفادة من هذه الأحداث في الربط بين أعضاء المجتمع ذلك عبر جعل التهديد مسألة عامة وليس التعامل معه بصفته مسألة خاصة لهذا زاد التعلق والترابط بين الشعب والسلطة أكثر، وبفضل عقلانية السياسة المنتهجة، تشكل فضاء سياسي ثقافي سمح لكافة الروافد السكانية من مسلمين ونصارى ويهود بالتفاعل الإيجابي والعيش المشترك، مما قدم للتاريخ الوسيط أنضج نماذج التعايش والوئام الديني والمدني.

تأسيساً على هذا التميز، يتبوأ الأنموذج المجتمعي الأندلسي في العصر الأموي صدارة الاهتمامات السياسية والتاريخية لجملة كبيرة من الباحثين، نظراً لخصوصيته الفريدة مقارنة بباقي حواضر العالم الإسلامي. وفي هذا الإطار المعرفي، تتنزل دراستنا الحالية والموسومة بـ" :الحياة الاجتماعية في الأندلس على عهد الدولة الأموية لتفكيك الإشكالية الجوهرية التالية:

فيما تمثلت مظاهر الحياة الاجتماعية في الأندلس خلال عصر الدولة الأموية؟

وأخرى فرعية:

-ماهي طبقات هذا المجتمع؟

-فيما تمثلت عادات وتقاليد المجتمع الاندلسي خلال العصر الأموي؟

- مما تكونت الأسرة الأندلسية؟ وماهي مراحل تكونها بالأساس؟

-كيف سارت حياتهم اليومية وأي أساليب اتخذوها في ذلك؟

وبناءً على هذه التساؤل ومن الإجابات المترتبة عليه سنخلص إلى فروع أخرى يمكنني القول إن أكبر دافع لها هو التالي:

التناقض الكبير بين البحث التاريخي المتعلق بالمستشرقين وبين المؤرخين المسلمين فيما يخص قضية الأندلس وعمق التأثير الذي خلفته في المنطقة فهناك تضارب شديد بين منكر ومؤيد لهذه المسألة.

التهميش الواضح لبعض الفئات المجتمعية الأندلسية على حساب الفئات الأخرى وذلك ربما يرجع لمسائل تتعلق بالتفضيل أو العرقية.

وصف الإقبال الإسلامي على شبه الجزيرة الإيبيرية بالاستعمار والحركة التوسعية من قبل بعض المستشرقين وحتى مؤرخين عرب والإنكار الصريح للتاريخ المدون من فضائل وعدل بين فئات المجتمع على اختلاف أعراقهم ودياناتهم.

أما الدوافع الأخرى التي يمكنني وصفها بالشخصية فهي تتعلق أساسا بالبعد والوسط الدراسي الذي تواجدت فيه الذي يتعلق بالتعمق في التاريخ الإسلامي لبلاد المغرب الإسلامي وخصوصا الأندلس، وكذلك لابد من القول أن ما يطالعه الشخص يأثر وبلا شك في اهتماماته الشخصية فبعد اطلاعي على كتب تخصصي شدتني بلاد الاندلس وعليه قررت البحث عن بعض القاط.

وتنحصر أهم هذه النقاط في:

ـ محاولة دحض الادعاءات الباطلة في حق المسلمين من طرف فئة من المستشرقين وذلك بإظهار الحقائق للعلن ودعمها من داخل محتوياتهم كذلك.

ـ استكشاف العادات المجتمعية وتنوعها في هذه الفترة الزمنية الممتدة من 138هـ لغاية 422هـ.

ولعل هذه الدراسة تكميلية فقط وتسلط الضوء على بعض النقاط في محاولة لفهم أعمق، فقد سبق أن تواجد دراسات عديدة بخصوصه نذكر منها:

الباحث إبراهيم بوتشيش القادري ذو الأصل المغربي الذي اقتصرت دراساته على العصر المرابطي لكن يمكن الاستفادة من دراساته جدا ومنها: المغرب والاندلس في عصر المرابطين.

وهناك خالد حسن الجبالي بدراسته للزواج المختلط بين المسلمين والاسبان من الفتح لسقوط الخلافة بفترته الممتدة من 92هـ حتى غاية 422هـ وهو موضوع غني جدا.

وكذلك عبد الجبار حسين ظاهر القحطاني صاحب صاحب دراسة الخلافة الأموية في الأندلس.

وعليه فإن أصحاب الدراسات كثر في العالم الإسلامي وحتى خارجه من المستشرقين بشقيهم المنصف والمجحف ونذكر منهم:

ليفي بروفسنال ولعله الأشهر منهم عند المسلمين فقد وضع دراسة معمقة لتاريخ الاندلس في العصر الاموي من الفتح للسقوط وتناول في جزئه الثالث الجانب الاجتماعي وهذا ما قد أفادني شخصيا، وعلى النقيض منه شارل ايمانويل ديفورك الذي اعتمد كثيرا على المصادر الفرنسية والاسبانية وأخرج لنا دراسة بعنوان الحياة اليومية في أوروبا الوسيطة وهي مليئة بالأفكار المتحيزة.

ثم أن هناك الكثير من المقالات التي تناولت هذا الموضوع وبشدة ومنها:

الدكتور سليم حاج سعد بعنوان تطور المنزل الأندلسي حتى نهاية عصر الموحدين وهو موضوع جاء بمعلومات قيمة عن تفاصيل عمرانية تخص تلك الفترة الزمنية.

عبد العزيز سالم صاحب دراسة" صور من المجتمع الاندلسي" وفيها العديد من المجالات الخاصة بالترفيه التي مارسها أهل الاندلس كنوع من التغيير في سيرورة الحياة.

عرض ونقد المصادر والمراجع:

كتب التاريخ: كتاب «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» لـ ابن عذاري المراكشي وهو من أهم مصادر تاريخ الأندلس، وتكمن أهميته في تنوع مصادره وغناها، مما جعله مرجعًا أساسيًا لدراسة أحوال المجتمع الأندلسي خلال مرحلة الانتقال من سقوط الدولة الأموية إلى قيام ممالك الطوائف.

ـ كتاب "نفح الطيب" للمقري التلمساني وهو مصدر موسوعي مستفيض، تكمن قيمته الأكاديمية في حفظه لشتات نصوص تاريخية وأندلسية فُقدت أصولها. ويُؤخذ عليه منهجياً الإطناب والاستطراد الأدبي، وله من استرسال الحوادث التاريخية الشيء الوفير، فضلاً عن كونه مادة خام تحتاج المعاينة بدقة منهجية شديدة.

كتب الجغرافيا:

وهذه الكتب مفيدة كذلك بدورها إذ أن مجرد تحديد الموقع قد يخلص بنا لمعرفة طبيعة الناس ونوعية مأكلهم ومشربهم وكذلك الحال الاقتصادي لهم، ومن هذه الكتب "الروض المعطار " لصاحبه الحميري وكذلك " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي و" صورة الأرض " لابن حوقل، كلها كتب قيمة أسهمت في هذا البحث.

كتب الحديث:

ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣ هـ) بكتابه" سنن ابن ماجه" وهو كتاب عظيم لما فيه من فضائل وأحاديث للنبي صلى الله عليه وسلم جنبا الى جنب مع كتاب" صحيح البخاري" لصاحبه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري 256هـ ولا يخفى عن أي شخص أي علم يحتويه، وهما دعامتان صلبتان للجانب الديني وفائدتهما تكمن في استنباط الاحكام والقوانين التي كانت مستندة بشكل أساسي على الدين في بلاد الاندلس.

كتب المعاجم والقواميس:

بما أننا نتعامل مع مواد تاريخية قديمة فلابد من مواجهة بعض الصعوبات الخاصة ببعض الكلمات وذلك بسبب كثرة كلمات لغتنا العربية وتعدد استعمالها وكذلك اختلافها من منطقة لأخرى لهذا استعملت معجم "تاج العروس من جواهر القاموس " لصاحبه محمد مرتضى للمساعدة في هذه المسألة وقد كان خير عون.

ـ في خلال دراستنا للموضوع كان لابد من استعمال بعض المناهج التاريخية من المنهج التحليلي في محاولة لفهم بعض الأمور المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية ونحو ذلك أشير الى الفصل الأول في حديثي عن طبقات المجتمع وكذلك تكوين الاسرة في الفصل الثاني وهنا يظهر استعمال المنهج جليا، كما استعملت المنهج الوصفي في بعض العناوين الأخرى التي تتطلب تحديد سمات وخصائص خاصة وظواهر تتسم بالواقعية خصوصا في ذكر تربية الأبناء وما الى ذلك في الفصل الثاني.

وانطلاقا من المذكور سابقا وصلت الى خطة منهجية لهذه الدراسة تتكون من ثلاث فصول أساسية وفصل آخر تمهيدي استلهيت به الدراسة.

جاء الفصل التمهيدي بعنوان رئيسي ينبثق عنه اثنين آخرين وهو تحت مسمى جغرافية الأندلس ودولة الأمويين بها أما محتواه فهو كما يظهر عليه يتحدث عن شبه الجزيرة الايبيرية من الناحية الجغرافية بصوفها القديم والحديث ثم ننتقل فيه الى أوضاعها قبل الفتح الإسلامي سيرا الى الفتح ثم تأسيس الدولة الأموية بها.

أما الفصل الأول فخصصته للسكان وطبقات المجتمع متحدثاً فيه عن التنوع العرقي والثقافي في البلاد خصوصا وأن هذا التنوع لم يكن على الصعيدين السابقين فقط بل مس حتى الأوضاع الاجتماعية المختلفة وقُسمت البلاد لثلاث أقسام بداية من الطبقة العامة في القاع انتقالا للطبقة المتوسطة ونهاية الى الأعلى وهي طبقة الحكام والنبلاء.

يأتي الفصل الثاني بشكل متعمق أكثر في هذه الطبقات المجتمعية حيث قمت فيه بدراسة وضعية للأسرة وقد شملت الدراسة كل من الطبقات الثلاث مبتدئين من مراحل بكر للأسرة تمثلت في اختيار الزوجة وصولا للزواج والانجاب ثم التربية وهذا يقودنا الى الطرف المهم المذكور سابقا وهو المرأة ودورها، ثم انتقلت الى مهام هذه الأسرة وهو موضوع محوري اذ أن هذه المهام قد تأثر بصفة مباشرة على المجتمع، وفي الأخير اختتمت الفصل بالحديث عن الحياة اليومية بتفاصيلها.

أخيرا الفصل الثالث جاء بعنوان مظاهر الحياة الاجتماعية تناول هذا الفصل عدة عناوين بداية بالأعياد والمناسبات المختلفة على اختلاف السكان من مسلمين ويهود ونصارى وكيف أن السلطة المسلمة لم تعارض احتفالات غير المسلمين ذلك لتشديد الوحدة ثم ننتقل للعنوان الثاني العادات والتقاليد والذي كان يمثل الهوية المركبة للمجتمع الأندلسي والقائمة على التنوع الشديد بداية من الغذاء وانتقالا الى أمور أخرى لمسنا فيها حتى عادات الدفن ونحو ذلك، ثم ثالث العناوين وهو السكن والعمارة باختلاف أنواعها من الدينية الى المدنية وأخيرا العلاقات الاجتماعية الذي يمثل ذروة الدراسة وتبيانا هاما لحلاصة الجهود المبذولة من الدولة الاموية في بناء هذه القاعدة الاجتماعية والحفاظ عليها لقرون.

ولدينا أخيرا خاتمة جاءت بمحصلة نتائج مستخلصة من هذه الدراسة.

الصعوبات:

لا تخلوا أي دراسة من صعوبات سواء المنهجية منها أو في المادة العلمية وذلك يعتمد بشكل كبير على الموضوع بحد ذاته.

في حالتي فإن أكبر صعوبة واجهتها هي اتساع هذا الموضوع وتشتتي بشأن ترتيب أولوية العناوين غير أن ذلك قد تم بفضل الله وتوجيه أستاذي المشرف باركه الله.

ولعل ثاني صعوبة كانت اللغات فمصادر ومراجع كثيرة كانت باللغة الإسبانية والفرنسية ولم يمكنني الإحاطة بها لكثرتها وضيق الوقت.

ويقول عز من قائل في سورة النجم الآية 39 (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) وليس من بعد قوله قول، ففي إنجازي لها قد وفقني الله وسهل علي كل خطوة خطيتها عسى أن يرضى عني وعنكم أجمعين.

أولا جغرافية بلاد الأندلس:

1/-أصل التسمية:

جاء في ذكر بلاد الاندلس من قدامى المؤرخين انها سميت نسبة الى الوندال كما جاء في ذكرهم باسم الأندلش أو الأندليش[1] ذكر أنّ اسمها في القديم إبارية من وادي أبره ثمّ سمّيت بعد ذلك باطقة من وادي بيطى، وهو نهر قرطبة، ثمّ سمّيت إشبانية من أجل رجل ملكها في القديم كان اسمه إشبان. وقيل إنّما سميّت بالاشبان لأنّ الأشبان سكنوها في أوّل الزمان على جريه النهر وما والاه وقال قوم إنّ اسمها وقيل إشبارية مسمّاة من بشيري، وهو الكوكب المعروف بالأحمر. وسمّيت بعد ذلك بالأندلس من أسماء الأندليش الّذين سكنوها على ما يأتي ذكره[2] كان الاستقرار بها في المناطق الجنوبية منها وذلك بعدما أحدثوا بها خرابا كبيرا نتيجة لهاذا سميت عليهم وحملت اسمهم ثم أصبحت تسمى "واندالوسيا" وقيل "فاندالوثيا"[3]،يذكرها كذلك ابن خلدون بقوله " ولحق بها ثلاث طوائف من الإغريقيين فاقتسموا ملكها وهم الأبيون والشوانيّون والقندلش وباسم قندلس سميت الأندلس"[4] لكن ابن خلدون قد أرجع نسبة قوله الى هروشيوش في قوله" هذه سياقة الخبر عن هؤلاء القوط نقلته من كلام هروشيوش وهو أصح ما رأيناه في ذلك والله سبحانه وتعالى الموفق المعين بفضله وكرمه لا ربّ غيره ولا مأمول إلّا خيره"[5]، وذلك فيما قيل في المسار الأول حول أصل تسميتها .

-المسار الثاني :ذهبوا فيه الى توجه آخر من أمثال ابن غالب فبقوله يرى أن الأندلس جائت من ولد يافث بن ننوح عليه السلام الذي قيل أنه أول من عمرها فسميت به بقوله "أول من عمرها بعد الطوفان قوم يعرفون بالأندلس "[6]،كما كان لابن خلكان من هذا نصيب فقال في كتابه وفيات الأعيان "وحكي أن اول من عمرها بعد الطوفان أندلس بن يافث بن نوح عليه السلام فسميت باسمه"[7].

-أُطلق على هذه المنطقة عديد التسميات فقيل ان اسمها في القديم إبارية نسبة الى الايبيريين ، وهم احدى الشعوب الأولى التي سكنتها ،ثم سميت بعد ذلك باطقة، وسكنوها في الأول من الزمان، وسميت بعد ذلك بالأندلس من أسماء الأندليش

---

[1] المقري التلمساني أحمد بن محمد (1041هـ / 1631م) /نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر – بيروت، 1408هـ / 1988م، ج 1، ص 133

[2] أبو عبيد البكري، المسالك والممالك ،دار الغرب الإسلامي بيروت ،1992م /1413هـ، ج2 ص890

[3] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، . دار الرشاد، . القاهرة، مصر ،1421هـ /2000م . ص263

[4]– ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، تح : شحادة ، ج 2 ، دار الفكر، بيروت ، لبنان ، –1421 2000 ، ص : 281

[5] ابن خلدون، المرجع السابق . ص283

[6] ابن غالب الأندلسي محمد بن أيوب /767هـ. 1366م، قطعة من فرحة الأنفس في تاريخ الاندلس: تحقيق لطفي عبد البديع، . مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد1، ج1، رمضان 1374 هـ/1955 م ص 281

[7] ابن خلكان 681هـ، وفيات الأعيان تح، حسان عباس، دار صادر، بيروت . ج1، ص57

الذين سكنوها[1] ، ثم قيل أن الاشبانية غلبوا على قوم من الأفارقة وبهم سميت إشبيلية فبنوها وسكنوها وخربت طالقة التي كانت في حكم الأفارقة وتوالى عليها أحد عشر ملكا منهم ،هجم عجم رومة فكانوا ملوكا كذلك حتى دخل البشترلقات على الرومانيين ثم بعث المسيح وقد أرسل حواريه وظهر دين النصرانية فغلب ،ليظهر بعد ذلك بإشبيلية رجل إسمه إشبان وكان رجلا ضعيفا يعمل في الحرث فوقف به الخضر وأوصاه بالرفق بأولاد الأنبياء إن غلب على إيلياء فما كان منه إلا الاستغراب من كلامه فما لبث بعد ذلك إلا أن شاع وذاع صيته وعلا أمره فغلب على الأندلس وخرج بالسفن إلى إيلياء فملكها وقتل فيها مئة ألف من اليهود وباع منهم مثله ،وكان ملكه نحو العشرين سنة ، لاحقا جاء القوط وقطع ملك رومة وكانوا ستة عشر ملكا قوطيا آخرهم رذريق.[2]

كذلك فيما يرى صاحب كتاب نزهة المشتاق الشريف الإدريسي أن تسمية إشبانيا وقعت على المناطق الواقعة جنوبا من جبال الشارات ،وفيما يقابلها من ناحية الشمال فتلك قشتالة [3]

وهذا ماكان في تسمية بلاد الأندلس بين مصادر إسلامية وأخرى، وبين من استندت على أساطير وأخرى اعتمدت على أصول لغوية.

2/ الموقع الجغرافي وخصائصها الطبيعية:

أ/. الموقع الجغرافي:

تعددت الأوصاف في ذكر بلاد الأندلس وموقعها فأتى على ذكرها جملة من المؤخرين والرحال من غابر الأزمان إلى ما بعدها ، فيذكرها صاحب كتاب آكام المرجان المنجم بأنها جزيرة كبيرة على حد قوله وقد أحاطت بها البحار، وهي آخذة من البحر المغربي في الطول عند مدينة أخشنبة إلى منفرج البحر الجنوبي والمحيط، عند جبل هيكل الزهرة ، فيما يجاوره،

[1] الحميري ابن عبد المنعم 900هـ/1495م . الروض المعطار في خبر الأقطار . تح احسان عباس . مؤسسة ناصر للثقافة بيروت ط2 . 1980 ص32

[2] أبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري . البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك المغرب والأندلس . تح بشار عواد دار الغرب الإسلامي تونس . ط1 .1434هـ/2013م ج2 ص 6

[3] الشريف محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني .560هـ /1165م . نزهة المشتاق في اختراق الآفاق . مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة .1422هـ/2002م . ج2 . ص536

ومدينة تركونة ومدينة برشلونة، وهناك باب الأندلس ،وهي آخذة في عرض الإقليم الخامس والسادس من البحر الشامي في الجنوب إلى البحر المحيط في الشمال، وقاعدة الأندلس، مدينة قرطبة ، وهي دار السّنة.[1]

وأتى على ذكرها صاحب كتاب صورة الأرض في قوله "فأما الاندلس فهي من نفائس جزائر البحر ومن الجلالة في القدر بما حوته واشتملت عليه " ، وطولها شهر في عرض نيف وعشرين يوما وفيها غامر وأكثرها عامر مأهول ويغلب عليها الماء والشجر المثمر والأنهر العذب وسعة الحال ، فأما مغرب هذه الجزيرة فمن مدخل خليج المغرب السالف ذكره ومصب مائه على البحر المحيط من نواحي لبله وجبل العيون آخذا على لب وشلب إلى أن يتصل بشنتره والنهر الآخذ من سموره مدينة الجلالقة الى موضع مصبّه من البحر المحيط، وشمالها فمن شنتره ذاهبا على نواحى سموره وليون ويونه من بلاد جليقيه الى أقاصى بلد جليقيه، ومشرقها فمن مشارق جليقيه الى الخليج المغربيّ على نواحى سرقصه وضواحى وشقه وطرطوشه وجميع بلاد الافرنجه من جهة البرّ، وجنوبيّها الخليج المذكور من بجانه الى تجاه جزيرة صقليه على بلاد بلنسيه ومرسيه والمريّه ومالقه والجزيرة الى ركن البحر المحيط، وأوّل أرضها المعمورة على الخليج الروميّ فمن اشبيليه ثمّ الجزيرة ويستمرّ على المريّهالى افرنجه ويعود على أرض جليقيه الى شنتره الى احشنبه على البحر المحيط، وأمّا حدّ شدونه ومرسيه وما صاقبها من أرض بلنسيه الى طرطوشه وهى آخر المدن التى على البحر المتّصل ببلد الافرنجه فهى ثغور تتّصل من جهة البرّ ببلاد غلجشكش وهى بلاد حرب للروم ثمّ تتّصل ببلد بشكونس وهم أيضا نصارى الجلالقة، فينتهى، ولها حدان أحدهما على بلاد الكفر والآخر على البحر المحيط، يسلف القول بأن جميع ما ذُكر من جملة المدائن المطلة بالبحر هي مدائن عامرة بالمرافق[2] كما هو موضح في الشكلين 1و2.

[1] إسحاق بن الحسين المنجم . آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان . عالم الكتب بيروت . ط1 . 1408هـ . ص106

[2] محمد بن حوقل البغدادي الموصلي . صورة الأرض . دار صادر أفست ليدن . بيروت . 1938م-1357هـ / ج1 . ص109/108

في قول آخر :بلاد شرقيها حدود الروم، وجنوبيها خليج بحر الروم ، وغربيها بحر الأوقيانوس المغربي ، وشماليها بلاد الروم أيضا ، بلاد عامرة نزهة ، فيها جبال ومياه جارية وتجارات كثيرة ومعادن متنوعة ، وجميع أبينتها من الحجارة ، وأهلها بيض البشرة وزرق العيون.[1]

أما عن مجمل القول فيها فهي شبه جزيرة تقع أقصى جنوب غرب قارة أوروبا التي تتصل بها بواسطة جبال البرتات (pyrenées) وقارة إفريقيا عن طريق مضيق جبل طارق، وهو مضيق بحري بين قارتي إفريقيا عند المغرب الأقصى تحديدا وقارة أوروبا عند بلاد الأندلس يتسع بنحو فرسخين وسبعة أعشار، وقد سمح هذا المضيق بصِلات كبيرة بين المنطقتين وله أهمية كبيرة في التجارة من غابر الأزمان ،جاءت الجزيرة بشكل مثلث رؤوسه الثلاث كانت على الترتيب :الرأس الغربي في شنت ياقوب [2] والشرقي منه في برشلونة[3] وأخيرا الجنوبي عند قادس [4].

لها إطلالات على واجهات بحرية جنوبا البحر الرومي أو كما يسمى الشامي كما أن لها إطلالة عليه شرقا، وغربا بحر الظلمات ويقال البحر المحيط وشمالها الغربي على خليج بيسكاي ،كل هذه العوامل الجغرافية أهلتها لتكون واحد من مراكز التجارة العالمية ، وكإضافة لهذه العوامل فلها سواحل بطول يقارب 845 فرسخا وثمانية أعشار .

. وبالحديث عن الماء فإن شبه الجزيرة الإيبيرية تمتعت بوفرة كبيرة في الماء ففيما ذُكر عن هذا الجانب من الزهري أنه لا يمشي الإنسان مسافة فرسخين إلا ووجد الماء وهذا بحد ذاته شيء مذهل ، ويستكمل القول: ''يشقها أربعون نهر لا يوجد هذا في معمور الأرض إلا فيها "[5].

[1] حدود العالم من المشرق إلى المغرب (مجهول توفي 372هـ) . تح السيد يوسف الهادي . الدار الثقافية . مصر . ط 1423هـ . ص 182

[2] هي كنيسة في ثغور ماردة مبنية على جسد يعقوب الحواري . الحميري . المصدر السابق . ص348

[3] مدينة عل البحر مرساها ترش عليها سور منيع ويسكنها ملك إفرنجة . الإدريسي . نزهة المشتاق . مصدر سابق ج2 . ص734

[4] قادس جزيرة صوب طالقة . الحميري . مصدر سابق . ص448

[5] محمد بن أبي بكر الزهري . ق6 هـ .كتاب الجغرافية . تح محمد حاج صادق . مكتبة الثقافة الدينية . مصر . ص 80

ومن جملة الأنهار بها نهر قرطبة وكما يسمى نهر الوادي الكبير ذكره المسعودي وقال "أن مبدأ هذا النهر من جبل على نحو ستة أيام من قرطبة يدعى لينشكه ، ويجري في هذا النهر مراكب كثيرة إلى قرطبة"[1] .

نهر تاجه: يخرج من جبل الأندلس فيمر قريبا من مدينة طليطلة، ويخرج من حوالي طليطلة متجها إلى المغرب :ثم ينعطف عند المشرق ويعود بعدها إلى المغرب فيسير حتى حدود هاردة وحدود شنترين. وحين يصل شنترين يصب فى بحر المحيط المغربى .[2]

نهر إبْرُهْ: يقع هذا النهر في شمالي شرقي شبه الجزيرة الأندلسيّة، ويصبّ في البحر الأبيض المتوسط، عند مدينة طُرْطُوْشَة، وكان مملكة أراغون (Aragon) ونبارة (Navara) يرتويان من هذا النهر .ولهذا النهر منبعان :أحدهما يقال له: هيجار (Higar)، يتفجر من جبل يقال له :كورد (Cardel) عليه الثلج صيفاً وشتاءً، وتنحدر منه مياه إلى الوادي الجوفيّ، منحدرة إلى الغرب، ومن مياهه ما ينحدر إلى الشرق، وهي مياه هيجار التي تجري مسافة ستة عشر كيلو متراً، ثم تلتقي مع مياه إبره النابعة من غربي المكان .[3]

النهر الأبيض : ينبع من جبال البرت ويمر بمدينة مرسية ، حصن أفرد (Ferez) ثم إلى حصن مولة (Mula) ومن هناك إلى مرسية ثم الى المدور ومنه للبحر .[4]

وكما اسلفت القول فإن البلاد عامرة بالأنهر والوديان وإنه لا يسع الذكر كلها فنذكرها على سبيل التسمية من هذه الأنهر، نهر لاردَة الذي فيه معدن الذهب ونهر أرلْنِسون (Arlencon) تراه أكثر السنة شحيحاً، ولكن له فيضانات مدهشة، ويسقي مدينة بُرْغُش)٢ .(Burgos) ونهر أريسمة الذي يسقي مدينة شَغُوْبِيّة (Segovia) ، وهي من

[1] أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (ت 346هـ) التنبيه والإشراف . تص عبد الله إسماعيل الصاوي . دار الصاوي – القاهرة . ج1 . ص60

[2] مصدر سابق . حدود العالم من المشرق إلى المغرب . ج1 . ص66

[3] محمود شيت خطاب (ت 1419هـ) . قادة فتح الأندلس . مؤسسة علوم القرآن – منار للنشر والتوزيع . ط1424/1 هـ - 2003 م . ج1 . ص90

[4] الشريف الادرسي . مصدر سابق . ج2 ص561

مدن قشتالة. ونهر برباط، وهو الذي يمر بقرب الموضع المسمى اليوم (Alola de Los Gazules) ونهر بكة (Bacca).[1]

. هذا ماكان في ذكر خيرات بلاد الاندلس المائية.

ب/المدائن والثغور الأندلسية:

هي ثلاثة ثغور : الثغر الأعلى ويقال الأقصى[2] وعاصمته هي سرقسطة وهو قبالة مملكة نباره (Navarra) ، وهناك الثغر الأوسط وعاصمته تسمى مدينة سالم ولاحقا طليطلة[3] وهو قبالة مملكتي قشتالة (castella)وليون ، وأخيرا هناك الثغر الأدنى وهو بين نهري دويره وتاجه[4] السالف ذكره وعاصمته في البدايات كانت طليطلة وتغيرت لاحقا وأختلف في صحتها إن كانت قورية وهي الأقرب للصواب.

-. قرطبة :يقول الإصطحري أنها مدينةعظيمة ليس كمثلها في سائر البلدان[5] ، وقيل فيها قصبة الأندلس ، توسطت بلاد الأندلس [5]ولعلها أجل من بغداد لها مدينة جوّانيّة لها جوامع عديدة في المدينة وأسواق وأغلب الأسواق ودار السلطان في الربض ، قدّامها واد عظيم سطوحهم قراميد الجامع من حجر وجيل وسواريه رخام حواليه مياض وللمدينة خمسة أبواب باب الحديد باب العطّارين باب القنطرة باب اليهود باب عامر وقد دلّت الدلائل واتّفقت الآراء على انه مصر جليل رفق طيّب وان ثمّ عدلا ونظرا وسياسة وطيبة ونعما ظاهرة ودينا.[6]

[1] مرجع سابق. قادة فتح الأندلس. ج1 ص 92

[2] ابن عذاري المراكشي. مصدر سابق. ج2 ص 172

[3] محمد عبد الله عنان المؤرخ المصري (ت 1406هـ). دولة الإسلام في الأندلس. مكتبة الخانجي، القاهرة. ط1. ج1 ص237

[4] محمد عنان ت دولة الإسلام. مرجع سابق. ج1 ص241

[5] أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري (ت 346هـ). المسالك والممالك. دار صادر، بيروت. 1425هـ /2004م. ص35

[6] أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. دار صادر، بيروت. مكتبة مدبولي القاهرة، ط3. 1411هـ/1991م. ص233

-. مالقة :هي مدينة حسنة وحصينة يعلوها جبل يسمى فاره ولها قصبة منيعة وربضان[1]وقيل فيها فردوس البسيطة على لسان صاحب كتاب المعيار لسان الدين بن الخطيب محاسن بلاد الاسلام. أى دار، وقطب مدار، وهالة ابدار، وكنز تحت جدار. قصبتها مضاعفة الاسوار، مصاحبة للسنين مخالفة للأدوار، قد برزت في أكمل الاوضاع وأجمل الاطوار. كرسي ملك عتيق، ومدرج مسك فتيق، وايوان أكاسرة، ومرقب عقاب كاسرة، ومجلى فاتنة حاسرة، وصفقة غير خاسرة. فحماها منيع حريز[2]، وهذا في ما قيل عن البلاد .

-غرناطة: مدينة كبيرة مستديرة رائعة المنظر، كثيرة الأشجار والأمطار والأنهار والبساتين والفواكه، قليلة مهبّ الرياح، لا تجري بها الريح إلا نادرا لاكتناف الجبال إيّاها.

وأصل أنهارها نهران عظيمان شنّيل وحدرّه، أما شنّيل فينحدر من جبل شلير بجنوبها، وهو طود شامخ لا ينفكّ عنه الثلج شتاء ولا صيفا، فهو لذلك شديد البرد، وغرناطة كذلك في الشتاء بسببه، إذ ليس بينها وبينه سوى عشرة أميال، وبه أعشاب وعقاقير لاتوجد بغيره ، بها دار سلطان وهي قلعة تدعى الحمراء ، وحول غرناطة أربعة أرباض :ربض الفخارين وربض الأجل، وهو كثير القصور والبساتين وربض البيازين الذي بناحية باب الدقّاف، وهو كثير العمارة يخرج منه نحو من خمسة عشر ألف مقاتل كلّهم شجعان مقاتلون معتادون بالحروب، وهو ربض مستقل بحكامه وقضاته وغير ذلك، كما بها جامع بديع ، وفي وصفها إسهاب لما فيها من حسن وبديع.[3]

-المرية: وهي على بحر الشامي [4]وبها المرافئ الكبار وبها تجارات كثيرة وأغلبها من البحر الشامي وهو الشرق من البلاد ، وهي بلاد ذات خير كثير وأهلها أهل فضائل وذكر عن قصد العباد لها بغية العلاج أيضا ، بها حر شديد ، والأمطار بها

[1] الربض هو سور المدينة وما حولها . ينظر تاج العروس من جواهر القاموس . محمد مرتضى . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت . ج18 . ص330 . فصل الراء والضاد

[2] لسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ) . معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار . مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة . 1424هـ . ص88/87

[3] أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت 749هـ) . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . ط1 1423هـ . المجمع الثقافي، أبو ظبي . ج4 ص230/227.

[4] إسحاق بن الحسين المنجم . مصدر سابق . ص12

على قدر ما تسقى به المخلوقات لا كثير ولا قليل ، وهناك ذكر عن أن الأسعار بها كانت أغلى من سائر البلاد لما فيها من غلاء .

- **إشبيلية** (**sevilla**):مدينة عظيمة من مدائن الأندلس [1] وهي غربي مدينة غرناطة على نهر الوادي الكبير[2] وإسمها عبارة عن إشتقاق من إسم فينيقي قديم (hispalis) ويعني الأرض المنبسطة ، إشتهر فيها علماء كبار من أمثال ابن هانئ الأندلسي أمير شعراء الأندلس وأبو بكر محمد بن عبد الله الشهير بابن العربي المعافري الأشبيلي ،وهي مدينة ذات حصون وقلاع وذات خير كثير .[3]

- **طليطلة** : مدينة عظيمة القطر، كثيرة البشر، وهي كانت دار الملك بالأندلس حين دخلها طارق؛ وهي حصينة، لها أسوار حسنة، وقصبة حصينة، وهي أزلية من بناء العمالقة، وهي على ضفة النهر الكبير، وقل ما يرى مثلها إتقاناً وشماخة بنيانٍ، وهي عالية الذرى، حسنة البقعة، ولها قنطرة من عجائب البنيان، وهي قوس واحدة، والماء يدخل تحتها بعنفٍ وشدة جريٍ، ومع آخر القنطرة ناعورة، وارتفاعها في الجو تسعون ذراعاً، وهي تصعد الماء إلى أعلى القنطرة، ويجري الماء على ظهرها فيدخل المدينة ، وكانت طليطلة دار مملكة الروم.[4]

ولبلاد الأندلس مدائن كثيرة لا يتسع ذكرها إسهابا ومن جملتها مدينة تدمير وهي بلد واسع فيه مدينتان،وبالقرب من قرطبة نجد إلبيرة وبينها وبين قرطبة مسيرة يومين ، وغربيها مدينة رؤية إلى الغرب منها مدينة شدونة ، ثم البسلة وهي أول ما دخل البلد مع طارق مولى موسى بن نصير اللخمي وغربيها مدينتي أشبونة وباجة وأحسنوبة ، وجهة الشرق مدينة ماردة وبها جنس يقال لهم الجلالقة وللشرق منها سرقسطة وهي من عظام المدن وإلى الشمال منها نطيلة وشرقها طرطوشة وهي آخر ثغر الأندلس شرقا على الحدود مع الإفرنج ، وعلى سبيل الذكر فغربها هناك بلنسية وهي بلاد واسعة وقيل أنها لم تطع بني أمية ومنها نعود إلى أول البلاد تدمير .[5]

هذا ماكان في جملة مدائن بلاد الاندلس على لسان الجغرافيين القدامى ومن عاصروا تلك الحقبة.

---

[1] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج4ص470

[2] موقع الإسلام، تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، ج1 ص277

[3] محمد عنان، المرجع السابق، ج4 ص470.

[4] الحميري، المصدر السابق، ص130

[5] أحمد بن إسحاق اليعقوبي(292هـ) /كتاب البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1422/ ص195/193

ثانيا /شبه جزيرة ايبريا قبل الفتح الإسلامي:

سكان شبه الجزيرة الإيبيرية قبل الفتح الإسلامي:

كانت لبلاد الأندلس مثل غيرها من البلاد أعراق مختلفة بإختلاف الحقبة الزمنية وكذلك على حسب المنطقة، يأتي هذا الذكر في بطون الكتب، بالعودة إلى عصور سحيقة وأقصد هنا القرن العاشر أو الحادي عشر قبل الميلاد إهتدى الفينيقيون إلى شبه الجزيرة الأيبيرية وأقاموا بها ولهم مدن فيها كانوا قد أسسوها مثل مدينة قادس السالف ذكرها على ساحل الجنوب الغربي، ولاحقا خلال القرن السابع قبل الميلاد وفد الإغريق عليها وأقاموا بها جهة الشرق وقيل هم من أطلقوا على سواحلها اسم ايبيريا، ولهم مصانع وبعض المدن بها مثل "برشلونة" جهة الشمال الشرقي ، وخلال القرن الخامس قبل الميلاد برز القرطاجنيين ومدينتهم المعروفة قرطاجنة وهي حاضرتهم .[1]

بالتقدم في التاريخ وبالضبط(205 ق.م) غزا الرومان شبه الجزيرة وأسقطوا قرطاجنة السالف ذكرها وأصبحت البلاد لهم وراح الطابع الروماني يطغى على البلاد سواء عمرانيا أو ثقافيا والتي امتدت آثارها حتى بعد الفتح الإسلامي وأهما اللغة الرومانية والدين المسيحي ، لاحقا اجتاحت القبائل الجرمانية وغلبت على الرومان حتى استقر القوط الغربيون في أواخر القرن الرابع الميلادي وامتد نفوذهم إلى شبه الجزيرة خلال القرن الخامس الميلادي وطردوا منها الوندال ، وهؤلاء القوط اتخذوا من ماردة جنوبا عاصمة لنفوذهم سنة (549م -554) ثم طليطلة شمالا وأعطوها اسم العاصمة الملكية ، وكان ملكهم يدعى يوريك (Euric) ويعد بذلك مؤسس الدولة القوطية في إسبانياوحرص على مد سلطانه حتى شمالي جبال البرت ، وعلى الجانب الديني فقد كانوا مسيحيين أريوسيين أي لا يؤمنون بألوهية المسيح وهذا ما نفر الايبريين من حكمهم المليئ بالإضطهاد للقساوسة فما كان إلا أن تزعزع الاستقرار وأخيرا اشتعلت نيران الثورة ضدهم بقيام ملك الفرنجة كلوفيس بحملة ضدهم وازاحهم للجنوب .[2]

ومن بين ملوك القوط سلسلة ملوك القوط نفراً أجمع المؤرخون على أنهم كانوا قادرين صالحين، وأنهم قدموا للبلاد خدمات حربية وعمرانية بعيدة الأثر، مثل :ششبرت 612 - 621م (Sisiberto) - الذي استولى على جميع أرجاء إسبانيا، وشنداسفنتو 649 - 672 (Chindaswinto) -الذي ألغى التفرقة بين أفراد الشعب، وحكم البلاد بمقتضى قانون جديد مزج فيه القانون الروماني القديم الذي كان قد سنّه الملك ألاريك الثاني، والقانون القوطي الذي وضعه يوريك، مما قرر السلام بين أهل المملكة، وجنّبها مصاعب وخلافات شتى.[3]

[1] طه عبد المقصود، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، مكتبة المهتدين لمقارنة الأديان، ص7

[2] محمود شيت خطاب، المرجع السابق، ج1/ص. ص126/125

[3] المرجع نفسه، ص129

ننتقل إلى التواجد اليهودي في شبه الجزيرة الايبيرية ، ينظر لأول تواجد يهودي فيها من قبل المصادر الإسلامية على أنه يعود لعهد الملك إشبان الذي قيل عنه أنه شارك مع نبوخذنصر في فتح القدس سنة(586 ق.م) ومع عودته لبلاده أتى بحوالي المائة ألف من اليهود الأسرى كما أسلفت القول في ذكر التسمية وقصة إشبان [1]، كما تقد بعض الدراسات الأخرى أن أصل التواجد اليهودي في بلاد الأندلس كان قبل ذلك بكثير تحديدا بتاريخ(931 -724ق.م) أي خلال الحروب بين مملكتي يهودا وإسرائيل كما أسلف (لندو) سابقا رواية إشبان ونقله لليهود الأسرى داعما بذلك صحتها [2], ومن باب الصحة فتقدم رواية إشبان على باقي الروايات ذلك لذكرها من الرازي في قوله "على ما يذكر علماء عجمها " .[3]

يذكر الحميري أيضا في هذا الجانب عن بعض الموجودات في بلاد الاندلس عند فتحها مثل قصة عثور أمير ماردة على حجر من بيت المقدس يحمل كتابات يهودية قال فيها الحميري أن جالبها لم يكن سوى إشبان"وانتقل رخامها إلى إشبيلية وماردة، وأنه صاحب المائدة التي ألفيت بطليطلة وصاحب الحجر الذي وجد بماردة.[4]

وهذا ماكان في تواجد اليهود ببلاد الاندلس قبل الفتح وقد أكد لندو السالف ذكره أن ما إعتمد عليه في أبحاثه كانت نصوصا توراتية ليثبت لنا أن تواجهم بها كان منذ عهود غابرة في فترة الملك سليمان عليه السلام مثل نص "لأن الملك [سليمان] كانت له في البحر سفن ترشيش مع سفن حيرام، فكانت سفن ترشيش تأتي مرة في كل ثلاث سنين، حاملة ذهباً وفضة وعاجاً وقردة وطواويس[5]."

ثالثا/قيام الدولة الأموية بالأندلس:

مهد الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس الطريق للمسلمين لتشييد الحضارة فيها وبكون هذا الفتح حجر الأساس لابد من التطرق إليه قبل أي شيء، يذكر صاحب كتاب فتوح البلدان (البلاذري) أن طارق بن زياد[6] عامل موسى بن نصير قد غزا الأندلس وهو أول من غزاها وذلك في سنة اثنتين وتسعين فلقيه ألبان وهو وال عَلَى مجاز الأندلس فآمنه طارق عَلَى أن حمله وأصحابه إِلَى الأندلس في السفن، فلما صار إليها حاربه أهلها ففتحها وذلك في سنة اثنتين وتسعين، وكان ملكها فيما يزعمون منَ الأشبان كما أُسلف الذكر فيه وأصلهم من أصبهان، ثُمَّ أن موسى بْن نصير كتب إِلَى طارق كتابا غليظا

[1] البكري، المصدر السابق، ج2/ص903؛ ينظر أيضا الحميري، الروض المعطار، ص34/33

[2] E.H. LINDO, THE JEWS OF SPAIN AND PORTUGAL (NEW YORK), P5/6.

[3] الحميري، الروض المعطار، ص33 (رواية الرازي)

[4] المصدر نفسه، ص59

[5] الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الملوك الثلاث، الفصل العاشر، (بيروت مطبعة المرسلين اليسوعيين، 1882م)، ص573

[6] هو طارق بن زياد بن عبد الله بن رفهو بن ورفجوم بن ينزغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو (50هـ/102هـ)، ينظر البيان المغرب (ابن عذاري)، ج2/ص5.

لتغريره بالمسلمين وافتتانه عَلَيْهِ بالرأي في غزوه وأمر أن لا يجاوز قرطبة وسار موسى إِلَى قرطبة منَ الأندلس فترضاه طارق فرضي عنه فافتتح طارق مدينة طليطلة وهي مدينة مملكة الأندلس وهي مما يلي فرنجة وأصاب بها مائدة عظيمة أهداها موسى بْن نصير إِلَى الوليد بْن عَبْد الملك بدمشق حين قفل سنة ست وتسعين والوليد مريض[1]، وبما أن نسب طارق كان من البربر ساعد جدا في توطيد العلاقات بينهم وبين العرب وكونوا بذلك قوة ضد أعدائهم وكانوا قد استوطنوا بلاد الأندلس ولعلها كانت الحجر الأول في بداية ظهور الدول الإسلامية تعاقبا في البلاد بعد ذلك .

-بعد الإطاحة بدولة الأمويين في بلاد المشرق وتحديدا في موقعة الزاب بتاريخ 11 جمادى الآخرة 132 هـ /749م وسقوط بلاد الشام تباعا اكتمل نصر العباسيين، وضل بعدها مروان بن محمد يسير من بلاد لبلاد ذهب إلى قنسرين ثم إلى حمص فدمشق [2]نهاية إلى فلسطين ثم مصر ، ولم يتوانى عبد الله بن علي العباسي في مطاردته وأرسل اخاه صالح بن علي لمتابعته في مصر العليا ، هناك دارت معركة بين فصيلة من جند العباسين ومروان في قرية بوصير بالفيوم وقتل مروان هناك ، [3]وقد حُمل رأسه إلى السفاح بالكوفة وبموت مروان إنتهى ملك بني أمية في المشرق وأصبح السفاح خليفة المسلمين الوحيد.

وبعد مقتله عكف العباسيون على مطاردة كل من له صلة ببني أمية من القادة فلم يسلم يزيد بن عمر بن هبيرة منهم فوجه المنصور رجلا مضريا يسمى حازم بن خزيمة التميمي نسبة لبني تميم فقتله في مجلس ولوحق أمراء بني أمية الواحد تلو الآخر وتفرقوا في البلاد هربا من الموت، في ذكر ذلك يذكر أن أبان بن معاوية قد قُذعت يده ورجله ونُكل به في البلاد ويقال هذا فارس بني أمية حتى مات ولم يسلم حتى عامة الناس فقتلت عبدة بنت هشام بن عبد الملك وذبحت النساء والأطفال كذلك[4]، ولوحق كل أمراء بني أمية من العباسيين ذلك لقطع نسلهم تماما ويمكن القول أن العباسيين كادوا ينجحون في ذلك غير أن إرادة الله لم تمكنهم ونجى واحد يدعى عبد الرحمان بن معاوية الملقب فيما بعد بعبد الرحمان الداخل .

نستهل القول في التعريف به:

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن أبو المطرف الأموي الهشامي المعروف بالداخل ولد بدير حنيناء ، ذكر البلاذري انه من عمل دمشق أخبرنا أبو الحسين بن الفراء وأبو غالب وأبو عبد الله ابنا البنا قالوا انا أبو جعفر بن المسلمة أنا أبو طاهر المخلص نا أحمد بن سليمان نا الزبير بن بكار

[1] أحمد بن يحي بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت 279هـ)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال- بيروت، 1988 م، ص 228

[2] قنسرين/حمص بلدان شامية تقع جوار بعضها البعض، ينظر الغزي كتاب نهر الذهب في تاريخ حلب، ط2، 1419هـ، ج3/ص608

[3] محمد بن علي طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، د.ط، دار صادر، بيروت لبنان، ص148

[4] إبراهيم الأبياري، مجموعة أخبار في فتح الأندلس وذكر أمرائها، دار الكتاب المصري. القاهرة، ط2 (1410هـ /1989م)، ص49

قال ومن ولد هشام بن عبد الملك أبان بن معاوية بن هشام وكان فارسا وعبد الرحمن بن معاوية بن هشام غلب على الأندلس حين قتل مروان بن محمد.[1]

بعد فراره من أيدي العباسيين كان قومه يتحيّنون له ملكاً بالمغرب، ويرون فيه علامات لذلك يأثرونها عن ملمة بن عبد الملك ، وكان هو قد سمعها منه مشافهة، فكان يحدّث نفسه بذلك، فخلص إلى المغرب، ونزل على أخواله نفزة من برابرة طرابلس، وشعر عبد الرحمن بن حبيب، وكان قد قتل ابني الوليد بن يزيد بن عبد الملك لما دخلا إفريقية، فلحق بمغيلة، وقيل :بمكناسة، وقيل :بقوم من زناتة، فأحسنوا قبوله، واطمأن فيهم.

ثم لحق بمليلة وبعث بدراً مولاه إلى من بالأندلس من موالي المروانيين وأشياعهم، فاجتمع بهم وبثّوا له في الأندلس دعوة، ونشروا له ذكراً، ووافق قدومه ما كان من الإحن بين اليمنية والمضريّة فأصفقت اليمنية على أمره لكون الأمر كان ليوسف بن عبد الرحمن الفهري وصاحبه الصّميل، ورجع بدر مولاه إليه بالخبر، فأجاز البحر سنة ثمان وثلاثين ومائة في خلافة أبي جعفر المنصور، ونزل بساحل المنكّب، وأتاه قوم من أهل إشبيلية فبايعوه، ثم انتقل إلى كورة ريّة فبايعه عاملها عيسى بن الصباح، ونهد إلى قرطبة فاجتمعت إليه اليمنية، ونمي خبره إلى والي الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وكان غازياً بجلّيقية، فانفضّ عسكره، ورجع إلى قرطبة، وأشار عليه وزيره الصّميل بن حاتم بالتلطّف له، والمكر به، لكونه صغير السن، حديث عهدٍ بنعمة، فلم يتم ما أراده ، وارتحل عبد الرحمن من المنكّب، فاحتلّ بمالقة فبايعه جندها، ثم برندة ، ثم بشريش كذلك، ثم بإشبيلية، فتوافت إليه جنود الأمصار، وتسايلت المضرية إليه، حتى لم يبق مع يوسف بن عبد الرحمن غير الفهرية والقيسية [2]، فهنا أبدى الأخير خوفا على ملكه وسلطانه من الانسلال من بين يديه إلى عبد الرحمان الداخل الذي كان يأمل بشدة في إحياء دولتهم الساقطة ذلك وفقا لنبوءة لمسلمة بن عبد الملك ، وبدأ بذلك التخطيط للتخلص منه فعلم عبد الرحمان بن معاوية بما يضمره له ابن حبيب [3]

نزل بعدها بقبيلة مكناسة وقيل بمغيلة عند شيخ من الموالين لعبد العزيز بن مروان يدعى أبا قرة وهناك استتر زمنا حتى كُشف موقعه ويقال إختبئ تحت ثياب زوجة أبا قرة ونجى من الموت ولاحقا في حكمه أغدق عليهما بالخير ولم ينسى صنيعهما .[4]

ولعل سبب إختياره تحديدا لأهل المغرب وبلادهم كملاذ هو أصول أمه البربرية من قبيلة نفرة ، لكن هذا الشيء لم يجعله يُقدم على إقامة دولته في أرض إفريقية ذلك لنفور أهلها من حكم الأمويين لما وجدوه منهم من ظلم وقسوة فوجه أنظاره

[1] أبو القاسم علي بن الحسن (ابن عساكر)، تاريخ دمشق، تح محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سوريا، 1415هـ /1995م، ج35 /ص445

[2] المقري أحمد بن محمد التلمساني، مصدر سابق، ج1، ص328

[3] ابن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص41

[4] المقري، المصدر السابق، ج1، ص333

نحو بلاد الأندلس فقد كان مولى أخته سالم يحدثه عنها وخيراتها وأراه مسالكها وأخبارها [1]، واستغل عبد الرحمان نقطة مهمة في ذلك الوقت وهي أن الاندلس كانت عامرة بالفوضى والخراب وعدم الاستقرار هنا قرر أن بلاده ستكون فيها .

تواصل بعدها مع وعماء موالي بني أمية فيها وبعث رسوله إلى أبي عثمان عبيد الله وأبي عبد الله بن خالد حاملا إليهما خبره بما قاساه وما فُعل فيه من ابن حبيب الفهري ويعلمهم أنه إن دخل إلى يوسف لم يأمنه ، ويعرض انه انما يريد الاعتزاز بهم وان لاح له سلطان في الاندلس يعلموه [2] ، سنة 136هـ نزل بدر (رسول عبد الرحمان بن معاوية) إلى ساحل البيرة السالف ذكرها وقصد أبا عثمان والتقوا عبد الله بن خالد ثم كان لهم اتصال بحليف لهم يدعى يوسف بن بخت وهو من جند قنسرين [3]، وشرعوا فعليا في الفكرة لكن نظرا لقلة العدد استمالتهم أكثر فكرة الاعتماد على أحد القبيلتين الكبار ونقصد هنا القيسية و اليمانية ثم استقرت الأمور لاحقا على اليمنية ورحبوا به ترحيبا كبيرا ذلك لرغبتهم في نيل الانتقام من المضرية ، عبر عبد الرحمان مضيق جبل طارق ونزل عند منكب وهو مرفأ صغير هناك واستقبله أبو عثمان بن عبيد الله ومن هناك ذهب إلى قرية طرش سنة 138هـ ، تجمعت حوله الوفود من كل صوب من ذويه من بلاد الشام وفلسطين ويمنية قرطبة [4]

بدار الحجاج يوسف بن بخت، وبما تجمعت له من قوة استطاع هزيمة يوسف الفهري الذي كان واليا على الاندلس مفتتحا بذلك العاصمة الاندلسية على مصراعيها بأول يوم من عيد الأضحى المبارك [5] وتحقق مراده وقد نودي عليه كأمير على الاندلس وهذا في عمر السادسة والعشرين ، غير أنه قاسى بعد ذلك من توترات سياسية مع المتقلبين من اليمنية والقيسية الحاقدين لكنه نجح في إفشالهم ،شيد بعد ذلك القصور وبنى الدور وأحسن إلى بلاد قرطبة عمرانا وتجميلا ومات سنة 172هـ .

تعاقب بعده الكثير من الأمراء في كلا العهدين الإمارة والخلافة وكل منهم تميز بشيء عن سابقه.

[1] نعنعي، عبد المجيد، تاريخ الدولة الأموية في الاندلس، دار النهضة العربية، بيروت ـ لبنان، ص 139، ص140

[2] سالم السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار النهضة العربية ن بيروت ـ لبنان، 1977م، 179/178؛ ينظر أيضا: ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص41

[3] أخبار مجموعة (مجهول)، مرجع سابق ص69

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص44، ص45

[5] نفسه، ج2، ص47

الفصل الأول:

السـكان وطبقات المجتمـع

أولا: السكان

ثانيا: طبقات المجتمع

أولا: تركيبة السكان.

بالنظر في تاريخ المجتمع الاندلسي فإنه يمكننا تقسيمه إلى قسمين رئيسيين حسب موضوع الدراسة إن كانت دراسة دينية للمجتمع فهناك مسلمين وغير مسلمين أما عندما يتعلق الموضوع بالجانب العسكري فقد تكون المجتمع الاندلسي من فاتحين منتصرين بفتحهم وسكان أصليين مهزومين[1]، ومن ناحية التنوع فقد كانت البلاد تزخر بأعراق عديدة نأتي على ذكرها لاحقا ، ورغم هذا الاختلاف بين العناصر السكانية إلا أنهم اجتمعوا تحت راية البلد الواحد والبيئة الواحدة والثقافة المشتركة والسياسة الموحدة لتقوم حضارة الاندلس بصبغها بلون واحد يلم شمل الجميع .

وكما أسلفنا القول فانهم ينقسمون الى مسلمين وغير مسلمين فيمكننا اتخاذ هذا التصنيف كمرجع أساسي لفهم التنوع السكاني في بلاد الاندلس.

1/. العناصر السكانية المسلمة.

أ/. العرب: مثل هذا العنصر أهمية كبيرة لكثرة عددهم، دخلوا الاندلس تباعا ، ولعل عرب الاندلس كانوا من مجموعتين أساسيتين المضرية واليمانية (القحطانية)، يقول صاحب كتاب نفح الطيب: (وهم الأكثر بالأندلس، والملك فيهم أرسخ، إلا ما كان من خلفاء بني أمية، فإن القرشية قدّمتهم على الفرقتين)[2]، ويذكر صاحب كتاب فتوح مصر والمغرب أن أول طالعة من العرب دخلت الاندلس كانت مع موسى بن نصير سنة 93هـ وكان فيها العرب والموالي وعرفاء البربر وقيل عددهم الكامل ثمانية عشر ألفا منهم ومعه حبيب ابن عبيدة الفهري [3] ، وقبلهم ليس ببعيد دخل العرب لبلاد الاندلس مع طارق بن زياد الفاتح مولى موسى بن نصير ذلك في قول من بطون الكتب "فدعا موسى مولى له ،كان على مقدماته ، يقال له طارق بن زياد ، وكان فارسا همدانيا ويقال أنه ليس بمولاه وأنه من موالى صدف ، فبعثه في سبعة آلاف من المسلمين جلهم من البربر والموالى ، ليس فيهم عرب إلا قليل "[4]،ثم تليها طالعة الحر بن عبد الرحمان الثقفي وذلك سنة (97هـ) وجاء واليا على الاندلس مصحوبا بأربعمائة رجل من إفريقية، وذكر أن أغلب هاتين الطالعتين من اليمانية و تميز هؤلاء السالف ذكرهم باسم كانوا يدعون به وهو البلديين ذلك للتفريق بينهم وبين الشاميين ويعني هذا الاسم أهل البلد[5].

---

[1] الطاهري احمد، المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة، مجلة بحوث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية . المغرب، العدد الأول، 1988 م، ص :130

[2] المقري التلمساني، (مصدر سابق)، ج1، ص293

[3] أبي القاسم عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحكم (257هـ /871م)، فتوح مصر والمغرب، تح شارلز توري، الهيئة العامة للصور والثقافة، مصر، الجزء الثاني، ص207

[4] مرجع سابق، أخبار مجموعة، ط2، ص17

[5] عبد العزيز سالم، المرجع نفسه، ص120

ننتقل إلى سنة 127هـ حيث تأتي طالعة بلج بن بشر القشتيري وهم عرب القيسية وهؤلاء هم الشاميين وقد كانت الحروب بينهم وبين السالف ذكرهم لاتخمد.

ويذكر ابن القوطية في كتابه تاريخ افتتاح الاندلس أن الطالعة الثانية كانت سنة 125هـ رفقة 30رجلا يقودهم أبو الخطار اليمني وكانوا من الشاميين ولعل هذا من ضروب الاختلاف في بطون كتب التاريخ التي ذكرت أن الشاميين دخلوا سنة 127هـ، وقيل دخل لوقف الصراع بين الطرفين.[1]

بعد دخول القيسية الى البلاد لم يرق للبلديين الامر وأخبروا أبو الخطار أن البلد قد تضايقت بهم أي لا تتسع لهم وقد كان حينها اميرا للاندلس ففرقهم في أنحائها فأهل دمشق الى إلبيرة وأهل حمص إشبيلية واهل قنسرين جيان ، وأهل فلسطين شذونة ، وأهل مصر تدمير [2].

وبعد تكلل خطة عبد الرحمان الداخل بالنجاح توافدت موجات كثيرة من القبائل العربية من الامويين وانصارهم ذلك لما كان من قهر وبؤس لاقته هذه القبائل وكذلك طمعا في خيرات البلاد وقد جائت القبائل بكثرة من اليمن وقيس وكلت ومنهم من التابعين ويذكر بقدوم أحد الصحابة كذلك والذي يدعى منذر الأسلمي وقيل منيذر وقد دخلها مع موسى بن نصير الفاتح [3]، في ذكر أعداد الداخلين من العرب يقول صاحب كتاب نفح الطيب "إنهم كانو العدد ثمانية عشر ألفا وقيل أكثر "[4].

نأتي على ذكر الفرق بين الشاميين والبلديين فهم كلاهما من العرب العاربة من القيسية واليمانية، فأما البلديين فهم الداخلين مع طارق بن زياد كما ذكرت سابقا، والشاميين يقال هم السادة، وهناك تفرقة كبيرة حتى فيما يدفع للطرفين يقول لسان الدين بن الخطيب في كتابه الإحاطة "وكان الخليفة يعقد لواءين، لواء غازيا، ولواء مقيما؛ وكان رزق الغازي بلوائه مائتي دينار. ويبقى المقيم بلا رزق ثلاثة أشهر" هذا في الشاميين، أما في البلديين "كان البلديّون أيضا يعقد لهم لواءان؛ لواء غاز، ولواء مقيم؛ وكان يرتزق الغازي مائة دينار وازنة؛ وكان يعقد لغيره إلى ستة أشهر، ثم يدال بنظيره من غيرهم" ، وحتى في تأدية العشر كان الشاميون معفيين منه عكس البلديين الملزمين به [5]، ولعل هذه المعاملات الخاصة والتفرقة بينهم كانت من أشعلت لهيب النزاعات بينهما وتسببت حتى في ضعف على الصعيد الداخلي .

---

[1] ابن القوطية القرطبي (267هـ)، تاريخ افتتاح الاندلس، تح عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطبع والنشر، بيروت/لبنان، ط1 ،1415هـ.1994م، ص83

[2] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص237

[3] ابن الأثير(630هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 1415هـ ـ 1994م، ج5، ص265

[4] المقري التلمساني، نفسه، ج1، ص269

[5] لسان الدين ابن الخطيب (776هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 1424هـ، ج1، ص، ص22/21

وعلى سبيل العموم فقد دخل الأندلس عدد كبير من العرب أُختلف في تعدادهم بدقة غير أنهم تجاوزو الخمسين ألفا كإحصاء لكل ما ذكرناه سابقا.

ومن الذكر بعد قيام دولة بني أمية ففي كتاب الحلة السيراء للقضاعي يذكر وفود عبد الملك بن عمر بن مروان في عشرة من رجاله إلى بلاد الاندلس وقد ولي إشبيلية [1]،وبالحديث عن الامويين فان الكثرة من العرب دخلت معه هربا من بطش بني العباس ومنهم من التابعين والصحابة الذين أسلفت ذكرهم سابقا .

يذكر المقري بعض أسمائهم وهم : موسى الأمير ، وعلي بن رابح اللخمي ، وحيوة بن رجاء التميمي ، وقيل ثالثهم حنش بن عبد الله الصنعاني [2]وعبد الرحمان بن عبد الله الغافقي الذي قاد المسلمين في معركة بلاط الشهداء .

وعموم الكلام فالعرب أتوا من كل جمع فالكلام في انسابهم يطول وعلى سبيل الايجاز فيهم: فالعدنانيون فمنهم خندف وقريش ومن هؤلاء بنو هاشم وصولا للحسين بن علي الى أبو طالب ومنهم بنو حمود ملوك الاندلس، ومن بني أمية خلفاء الاندلس، واما بنو زهرة فهم بإشبيلية وهم أعيان متميزون.

وهناك نسب بني عبد الدار والفهريين من بني محارب بن فهر ونذكر منهم عبد الملك بن قطن سلطان الاندلس، وهناك المنتسبون الى كنانة وهم جمع كثير في طليطلة ومنهم القاضي أبو الوليد، والسالف ذكرهم كانوا من العدنانية وهناك القيسية من قيس عيلان بن إلياس وهم كثر في البلاد جمعهم في اشبيلية وغرناطة، ونختم باليمنية هم القحطانية كما أنهم جمع غفير ولعلهم الأكثر في البلاد.

وهؤلاء العرب كما كانت عادتهم مع الانساب في المشرق فضلوا يتفاخرون ويحفظون نسبهم بالرغم من الاختلاط مع العناصر الأخرى وهم علية القوم [3] لكن لاحقا تمازجت الدماء بين العرب المولدين والبربر وخصوصا في قرطبة مما خفف من هذه الظاهرة كثيرا .

ويشار إلى أن العرب ذاك الوقت تميزوا بالعشائر والافخاذ والبطون ثم قطعت هذه الأمور زمن ابن ابي عامر، نختم القول إن من أعمال هؤلاء العرب كان الاشتغال في المزارع والرعي وكذلك لهم في الجانب العسكري كجنود أما علية الناس منهم فتملكوا على مناصب مهمة في الدولة، وأخيرا مما أسلفت قولا يمكننا القول أن مراكز تجمعهم كانت في الجنوب الشرقي وسهل قرطبة لتشابهها مع بلادهم قليلا.

---

[1]. ابن الأبار القضاعي (658هـ)، الحلة السيراء، تح حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة. مصر، ط2، 1985م، ج1، ص56

[2]. المقري التلمساني، المصدر نفسه، ج1، ص278

[3]. ليفي بروفسنال، الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة الطاهر احمد مكي، دار المعارف، القاهرة. مصر، ط3، 1414هـ ،1994م، ص18

ب/. البربر: مما جاء فيهم أنهم جيل من الناس يقال إن أول من سماهم بهذا الاسم إفريقس الملك ابن أبرهة ذي المنار بن الحارث الرائش لما ملك بلادهم وسمع كثرة كلامهم[1]، وهذا قول ابن خلدون فيه كذلك "يقال :إن أفريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة لما غزا المغرب وإفريقية، وقتل الملك جرجيس، وبنى المدن والأمصار، وباسمه زعموا سميت إفريقية لما رأى هذا الجيل من الأعاجم وسمع رطانتهم ووعى اختلافها وتنوّعها تعجب من ذلك، وقال :ما أكثر بربرتكم فسموا بالبربر. والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة، ومنه يقال بربر الأسد إذا زأر بأصوات غير مفهومة"، ويضفي في مسألة أنسابهم أنهما إنقسما على جذمان اثنين وهما البرانس وماذغيس.

فأما البرانس فهم ازداجة ومصمودة وأوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجة وأوريغة، وأما ماذغيس فهم أداسة ونفوسة وضرية وبنو لوا الأكبر، وكلهم بنو زحيك بن مادغيس ويقال لهم البتر (ينظر لكتاب العبر، ابن خلدون، ص117).

ولعلهم أقرب الخلق للعرب في تشابههم في البداوة والشدة ومنهم خلق يدعون الطوارق أشد بداوة من العرب نفسهم [2]، والبربر هم سكان شمال افريقية كما تسمى بلاد المغرب بدودها من بحر الظلمات غربا نحو الجانب الغربي من بلاد مصر وبها ثلاث تقاسيم حسب بطون كتب التاريخ من الجغرافيين القدامى ، المغرب الأدنى بقاعدة تدعى القيروان وسمي بذلك لدنوه من مركز الخلافة ثم المغرب الأوسط والاقصى بقاعدتيه على التوالي تلمسان وفاس في مراكش [3].

بعد فتح بلاد الاندلس على يد طارق بن زياد بدأت أعداد هائلة من البربر الامازيغ في التدفق نحو الشمال الى بلاد الاندلس بغية الاعمار وبحثا عن الأرض الجيدة [4]ولعلهم كانوا سباقين في دخولها كما أن طارق بنفسه كان أمازيغيا ، فتذكر المصادر التاريخية أن أعدادا ل بأس بها شاركت في الفتح السابق ذكره فيذكر المقري التلمساني في كتابه نفح الطيب أن سبعة آلاف من المسلمين جلهم من البربر قد شاركوا معه ثم التحق بهم خمسة آلاف آخرين [5]، ولابد من القول أن البربر قد تعربوا على يد القادمين من المشرق وقد تشابهوا لقرب أسلوب الحياة كما أسلفت القول وتمازجوا بالزيجات والأنساب .

---

[1] . نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت 573 ه)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، ط1، 1420ه /1999م، ج1، ص397؛ ينظر ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص117

[2]. محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص 284

[3]. أحمد امين، ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي بيروت . لبنان، ط3، ج1، ص291

[4]. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص259

[5]. نفسه، ص، ص231 .232

وهؤلاء البربر ينتمون إلى "مطغرة " "مديونة" "مكناسة" "وهوارة " وغيرها [1] وهم من سكان الجبال وهذا سيظهر فيما بعد أنه أحد الأشياء التي ساعدتهم في إشعال نزاعات وحروب تسببت في إضعاف الدولة كثيرا [2] مؤدية أهم الأدوار في سقوطها أخيرا سنة (422هـ /1031م) ، وقد استأثروا بالمنطقة الجنوبية بعد ذلك في عهد ملوك الطوائف.

نأتي على الذكر أن عبد الرحمان بن معاوية الملقب بالداخل كان قد قتل أبي الصباح اليحصبي وهو رئيس اليمانية وقد أكثر القتل في قومه كذلك فاتخذوا له حقدا كبيرا وضغينة لفعلته، فتذكر المصادر أنه قد قطع أطرافه الأربع ثم رأسه تاليا، ولما علم بحقدهم اتخذ من البربر والموالي الذين اشتراهم جيشا قوامه أربعون ألفا [3] وبهم صد اليمانية الثائرين على أبي الصباح[4]يتضح لنا من خلال النص أن البربر كانوا عنصرا فاعلا في الجيش كذلك.

نذهب الى وصف هؤلاء البربر فقد جاء فيهم أنهم أهل خيال واعتقاد بالمغيبات، وسرعة تصديق بما يأتي لهم من دعاوى غيبية، وأنهم قد واجهوا العرب الفاتحين بالصد حين الدعوة للإسلام ويرى ذلك في حكاية الكاهنة المدعوة ديهيا التي قابلتهم بالحروب وردتهم عن الأرض حتى قتلت [5] ، فلا يدرى من ذلك إن كان حقدا أو لعلهم كرهوا العرب جملة .

نأتي على ذكر مواطن استقرارهم، فيُلاحظ ان أهل الحواضر منهم استقروا بالمدن ومن كان منهم أهل رعي اتجه للجبال ومن ما ذكر ابن حزم فلا مكان معين يتركزون فيه بل كانوا في جميع أنحاء البلاد تحديدا نحو الشمال منه ، و في جبالها أكثر قليلا ذلك لطبيعة نشاطهم الاقتصادي المعتمد على الرعي والزراعة .وقد سميت بعض الأماكن تيمنا بهم مثل قصبة كورة جيان التي سميت قبلا اوربة ، وقد أسسوا المدن مثل قصر أبي دانس المنسوب ألى جد بني دانس بن عوسجة [6] والمناطق الواقعة غرب طليطلة كلها كانت مأهولة بهم ، كما هناك قلاع باسم قبائل منهم مثل قلعة جزولة نسبة لهم ، وشرقا كما أسلفت هناك أوربة من قرى جيان التي ذكرها ياقوت الحموي .

وهذا مجمل القول فيهم.

ج/. <u>الموالي</u>: يذكر أنه قد جاء نفر كبير منهم مع الفاتح موسى بن نصير ذلك سنة 97هـ وهذا قد ذكرته سابقا في فتوح البلاد، وهؤلاء الموالي هم من أهل المغرب خصوصا من البربر الذين كانوا تحت طاعة بني أمية من بني الخليع ووانسوس ، ثم

---

[1]. ابن حزم الاندلسي (384 – 456 هـ)، جمهرة أنساب العرب، تح عبد السلام محمد هارون، دار المعارف . مصر، ص، ص 498 ،503

[2] . حسين مؤنس، فجر الاندلس، دار المناهل، بيروت . لبنان، ص، ص388 .389

[3] . المقري التلمساني، المصدر السابق، ج3، ص36

[4]. يدعى العلاء من مغيث اليحصبي (146هـ /763م) خرج على عبد الرحمان الداخل وكان قد لبس السواد كإشارة منه للانتماء الى العباسيين ثم قتل علي يد هذا الأخير بباجة، ينظر: الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002 م، ج4، ص245

[5]. أحمد أمين، المرجع السابق، ج3، ص ص 69.68

[6]. ابن حزم، المصدر السابق، ص501

أن اهم بيوتاتهم كانت من بنو الزجالي ، وبنو زروال ، وبنو عميرة [1]، ولم يقتصر الامر على موالي البربر فقط بل كان منهم من إفريقية من بلاد السودان وموالي إسبانية أمثال بني قسي وبارون وغومس وغرسية وبني مرتين [2].

وبهؤلاء الموالي أسس عبد الرحمان بن معاوية دولته والفضل يعزو لهم في الواقع، فلو نراجع بطون الكتب نرى أن الكثير من المشاكل حُلت بهم سواء في مجال الاقتصاد أو العسكري منه ولنا سالف في تفصيل الحديث عن هذا.

ولعل كل مولى ومنزلته فليسوا على نفس القارب في المنزلة فموالي الشاميين قد تقدموا على غيرهم من الموالي وذكرنا ذلك سابقا في حديثنا عن العرب والفرق بين الشاميين والبلديين، وأن هذا أحد مشعلات فتيل الفتنة بينهم وتربية حقد الفوارق في التعامل.

عند الحديث عن الموالي لابد من الأخذ بعين الاعتبار أنهم كانوا عنصرا اجتماعيا هاما من كل النواحي الحياتية للدولة ، فقد تولى العديد من الموالي مناصب هامة أبناء بيت بني عبدة الذين ضلوا حتى أيام المنصور بن أبي عامر يتقلدون مناصب هامة[3]

نقفز في التاريخ وصولا لعصر الاضمحلال الأول والمقصود به الثلث الأول من القرن الثالث عام 238هـ الى غاية السنة 300هـ التي كانت سنوات سوداء على بني أمية حين كسرت عصا الطاعة واشتعلت الثورة في كل مكان واستقل كل واحد بمنطقة معينة منحسرا سلطان بني أمية الى قرطبة ومن الثورات ثورة الموالي بالبيرة بقيادة عبد الوهاب بن جرج 238 هـ /273هـ[4].

د/. الصقالبة: هي كلمة أطلقت على الشعوب السلافية والتي تنتمي للمجموعة الهندو أوروبية ويسمون بالآريين أيضا، ثم أُطلقت لاحقا من طرف العرب على الرقيق المسيحيين ويستخدمون في القصور ونحو ذلك ومصدرهم بدرجة خاصة من تجار اليهود الذين كان لهم الزاد الأكبر في تجارتهم، ويذكر أيضا أن الحروب ساهمت في كثرة أعدادهم أيضا، أما كتحديد للفئة العمرية فكان يأتي بهم أطفالا من بلاد الفرنجة ويربون في بلاد المسلمين على إدارة شؤون القصر [5]، ولعلهم كانوا من بين الأطراف المستهدفين من بني امية حيث أنهم مع الموالي والعرب يشكلون الثلاثي الذي اعتمدت عليه الدولة الاموية بشدة في جيشها واقتصادها، ومن مميزاتهم التي عرفوا بها لون شعورهم المقاربة للحمرة .

---

[1]. نفسه، ص499

[2]. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص404

[3]. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص446

[4]. ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص137

[5]. عبد الله جمال الدين، تاريخ المسلمين في الاندلس، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، القاهرة . مصر، ص83

يذكر المسعودي في نسبهم أن هؤلاء الصقالبة هم سكان البلاد المجاورة لبحر الخزر بين القسطنطينية وبلاد البلغار ولنختصرها هم سكان البلادالممتدة على طول بحر القزوين شرقا الى البحر الادرياتي او الادرياتيكي غربا، وهم جنس كثير من روس وبلغار وصرب وسلاف كما قلنا[1]، وبهذا تتوضح الصورة جيدا في أن الصقالبة المعنيين في الدولة الاموية بالاندلس ليسوا سوى سكان الدول المجاورة وهذا بحكم المسافة وعظم المكان ، كما أن المسلمين لم يتجاوزوا في حملاتهم بلاد الإفرنج أو حدودها .

بالعودة للأندلس فإن العاملين في القصر من الصقالبة واقصد الذكور كان يتم إخصائهم خصوصا إن كانت في خدمة الحريم داخل القصور [2] وبهذا عرفوا بالخصيان ، وتم ذلك خوفا على حريم القصر ولا يدرى إن كان بموافقتهم أم لا لكن الظاهر أنه برضاية منهم بغية الخدمة .

من المعروف أن عملية الاخصاء هذه تتم في مدينة تدعى بجانة وذلك بفردان وهي مكان فيها[3] ، وهناك مراكز هذه العملية بطلب من التجار اليهود كم ذكرها ابن حوقل على سيبيل الذكر هناك التاجر اليهودي إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي المعاصر للرازي [4]، وانتقلت هذه العملية للمسلمين فنذكر الحكم بن هشام الذي أخصى العديد من أبناء رعيته المتميزين بجمالهم [5]، ومنهم أول خصي مستحجب وهو منصور الخصي .

ولعل هذا الشيء يقودنا الى دورهم الهام في السياسة فعملية الاخصاء خولت لهم النخر داخل القصر والتمكن من مناصب حساسة فقد كلفوا بخدمة الامويين الحكام وتولوا مناصب الرياسة والقيادة، ففي الشرطة العليا تولاها الفتى دري ، والفتى قند قائد بطليطلة [6]، وجوذر ديوان الصاغة .

ولهؤلاء الصقالبة مساهمات في البلاد من ناحية الحياة الاجتماعية كونهم جزء كبير من المجتمع أو في الحياة السياسية كما أسلفت القول سابقا في ذكر تدخلاتهم ومناصبهم التي حصلوا عليها نذكر منها:

---

[1]. أبي الحسن علي المسعودي (346هـ /957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط1، تح كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، 1425هـ، ج2، ص25

[2]. ابن منظور (711هـ)، لسان العرب، المجلد 1، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ص249

[3]. شمس الدين المدعو المقدسي (380هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1224هـ، ص194

[4]. حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الاندلس، ط1، المنظمة العربية لتربية والثقافة والعلوم، ص76

[5]. ابن حزم، الرسائل، تح احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2007، ج2، ص75

[6]. ابن عذاري، المصدر السابق، ص214

النشاط العلمي :لهم مؤلفات ونظم أضيفت للرصيد العلمي الاندلسي مثل حبيب الصقلبي من فتيَان الأموية بقرطبة كَانَ من أهل الادب والاتصاف بالفهم والتيقظ وَله كتاب تصعب فيه لقومه وسماه بالاستظهار والمغالبة عَلَى من أنكر فَضَائِل الصقالبة [1]، والفتى نجم الوصيف من أهل قرطبة والذي عُرف بالأدب والشعر .

الجانب العسكري: بعدما استكثر منهم الحكم بن هشام في البلاد قرر أخيرا الاستعانة بهم في جانب الجيش وكان قد سماهم بالخرس ذلك لانعقاد لسانهم عن العربية كما ذكرها ابن خلدون [2]، غير أنه يجدر الشارة بأن الصقالبة المجندين كانوا كبار السن ويختلفون عن أولئك المخصيين ، وللحكم بن هشام فرقة خاصة من الصقالبة مكلفة بحمايته شخصيا وقسمهم لسرايا ذلك ليسيطر على أي تمرد خارج [3]

عموما فإن الصقالبة قد بدأ دورهم في التجلي للعامة خلال فترة الحكم بن هشام الذي أولاهم اهتماما كبيرا، وعليه نالوا ألقابا مثل الخليفة وتفرعت أدوارهم في انحاء البلاد حتى صاروا جزء لا يتجزأ ولا يمكن الاستغناء عنهم وحتى يمكنني القفز بالقول إنهم نالوا درجة النبلاء فيها.

هـ/المولدون والأسالمة: ويدعون كذلك بالأسالمة، ويمكن اختصار القول فيهم أنهم أهل البلاد من النصارى واليهود الذين دخلوا في الإسلام وبالتحديد فهم الجيل الأول أي أولاد هؤلاء النصارى، وأيضا هم أبناء الزيجات بين البربر والعرب وغيرهم، وقد جاء هذا اللفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله:(لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلاً حتى نشأ فيهم المولدون وأبناء سبايا الأمم) [4].

بعد استعراب هؤلاء وتفقههم في الدين بلغوا شأنا كبيرا في البلاد من مناصب في الدولة على سبيل الذكر نذكر أيوب بن عبد ربه الذي ذكره ابن الأبار في قوله "أنه من مُسالِمَة الذِّمَّة وَأَصله من جِهَات سرقسطة استقضاه الْأَمِير الحكم بْن هِشَام الربضي عَلى إشبيلية ونواحيها فِي المحَرَّم سنة اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَة وَجعل إِلَيْهِ الصَّلاة ثُمَّ عَزله فِي عقب ذِي الحجّة سنة خمس وَتِسْعين فَكَانَت ولَايَته ثَلَاث عشرَة سنة ذكره ابْن حَارِث"[5].

وإن مسألة دخولهم في الإسلام ليست مرتبطة بولادتهم في وسط مسلم فقط بل تعود جذورها لقناعات تامة به وبسماحته ولما رأوه من المسلمين آنذاك، كما أن للشقاء الذي قاسوه من القوط كان له وقع كبير عليهم فذلك كان من الأسباب التي

[1]. ابن الأبار القضاعي البلنسي(658هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تح عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، بيروت ـ لبنان، 1415هـ، ج1، ص229

[2]. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص163

[3] . خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت ـ لبنان، ص116

[4]. ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت 273 هـ)، سنن ابن ماجه، تح محمد فؤاد عبد الباقي [ت 1388 هـ]، دار إحياء الكتب العربية، ج1، ص21، رقم الحديث 56

[5]. ابن الابار، المصدر نفسه، ج1، ص164

لابد من ذكرها على سبيل المعرفة [1]، نأتي على ذكر أن هناك من قال بوجود فرق بين فئة المولدين والأسالمة مثل دراسة ليفي بروفنسال التي جاء في مضمونها أن الفرق بين الفئتين هو طريقة دخولهم للإسلام ، بينما كانت الأسالمة قد دخلت فئة كبيرة منهم للإسلام عنوة [2] دخل على غرارهم المولدون طواعية ، وفي هذا حديث كثير عن صحته وبطلانه ، والاجدر بنا ذكر أنه ليست بالرأي الشائع .

نأتي على ذكر دورهم في البلاد:

ففي الجانب الاقتصادي يذكر ابن الأحمر أنهم شكلوا شطرا من اقتصاد البلاد فتجد لهم ذكرا أينما حللت في التجارة والزراعة والصناعة فلهم أبقار ومناحل ومزارع وحتى حرف لمن سكن منهم المدن[3]وبهذا يمكننا بوضوح أن نرى تأثيرهم عل البلاد

ومن الجانب الأدبي الثقافي هناك عبد الله العبلي شاعر المولدين الذي قال فيه صاحب كتاب المغرب في حلى المغرب "شَاعِر جَاءَ ذكره فِي كتاب المقتبس لِابْنِ حَيَّان كَانَ يناضل أهل غرناطة عَن شعراء إلبيرة فِي تِلْكَ الْفِتَن" ومما قاله هذا الشاعر:

مَنَازِلُهُمْ مِنْهُم قفار بَلَاقِع ... تجاري السَّفَا فِيهَا الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ

وَفِي القَلْعَةِ الحَمْرَاءِ تبديد جمعهم ... وَمِنْهَا عَلَيْهِمْ تَسْتَدِيرُ الوَقَائِعُ

كَمَا جَدَّلَتْ آبَاءَهُمْ فِي خَلائِهَا ... أَسِنَّتُهَا وَالمرْهَفَاتُ القَوَاطِعُ...[4]

ونستذكر الأديب أبا الوليد محمد بن عمر الفقيه ، وأبا عبد الله بن محمد بن علي بن أحلي المتكلم [5] .

وعموم الكلام فهم فئة هامة جدا لما قدموه للبلاد وأهلها، وفي عصر عبد الرحمان الثالث اختفى هذا المسمى لتمازج هذه الفئة مع أهل البلاد وضياع الأنساب في بعضها البعض حتى صاروا جزء لا يتجزأ منها.

---

[1]. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص430

[2] Levy Provençal–op.cit–T 3 p180

[3]. إسماعيل ابن الأحمر(807هـ)، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ـ المغرب، 1972م، ص24

[4]. أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (ت 685 هـ)، المغرب في حلى المغرب، ط3، 1955م، تح شوقي ضيف، دار المعارف – القاهرة، ج2، ص25

[5] . ابن الابار، المصدر نفسه، ص، ص 314202، رقم 143. 168

وعند الكلام عنهم لابد من ذكر مكان تواجدهم فلم يقتصروا على القصور ومراكز الخدمة فقط بل كانت طيطلة أحد أكبر مواطن تواجدهم، فنجد أن أهم ثوراتهم انطلقت من هناك على سبيل المثال الحكم الربضي الذي استعصت عليه كثيرا ثورة المولدين بطليطلة وكنت قد ذكرت سابقا أنه اضطر لتقسيم حرسه لسرايا بغية صد المتمردين، ومدينة وشقة التي كان أعيانها ذوي شأن عظيم لدى حكام بني أمية، نذكر منهم عمروس بن يوسف وهو الشخص الذي وكله الحكم بن هشام لإخماد ثورة المولدين بطليطلة [1] ولدينا أيضا عبد الله الحسن (ابن السندي335هـ) [2] وهو قاض على وشقة وقد كان متعصبا جدا للمولدين ، ولابد من الإشارة أن التعصب يكون في وسط اغلبيته من الفئة المتعصب لها واقصد هنا المولدين .

وبالإضافة لطيطلة نجد أن إشبيلية تمثل معقلا لا يقل أهمية عن سابقتها، فقد كانت ثاني أكبر مركز لهم وهم أكثر نفر فيها فعملوا بها في التجارة والإدارة وصنعوا ثروة هائلة غير أنهم لم يجنحوا للثورة والعدوان بل مالوا للسلم والعلاقة الطيبة مع الحكام[3] ، عدا أواخر عهد الأمير عبد الله وذلك فقط لمواجهة العصبية العربية المتزايدة في وجههم .

وبعدما اشتدت سواعدهم ورسخوا قواعدهم في البلاد قاموا بعدة ثورات منتهزين ضعف البلاد ولعلنا نذكر الأخطر منها فنجد على رأسها ثورة عمر بن حفصون وهو زعيم المولدين من سنة (265 هـ/881م) لغاية (305هـ/917م) ثم عبد الرحمان بن مروان المعروف باسم الجليقي ذاك نسبة الى جليقية[4] ، وقد اشتعلت نيران التمرد هذا اثر حادثة صفع الوزير هاشم بن عبد العزيز والذي كان كبير الوزراء حينها ليفر هذا الأخير وينظم لإشعال الثورة خفية في قلعة الحنش جنوبي ماردة واجتمع حوله جمع غفير من الموالين له[5].

بالعودة للجانب الثقافي فقد عرفوا بلغة تدعى الرومانثية وهي خليط بين الاسبانية العامية والعربية ذلك الأمر الذي أسهم في خلق نوع جديد من الموشحات والزجل.

---

[1]. ابن حيان، المصدر نفسه، ص108

[2]. عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضي (ت 403 هـ)، تاريخ علماء الأندلس، ط2، تح السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة ـ مصر، 1408هـ، ج1، ص267، رقم687

[3]. عبد العزيز سالم، المرجع نفسه، ص129

[4]: جليقية: بلد الجلّيقيّين سهل جميعه والغالب على أرضه الرمل وأكثر أقواتهم الدخن والذرّة، ومعولهم في الأشربة على شراب التفاح وأهله أهل غدر ودناءة أخلاق. ينظر: أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ج2، ص913

[5]. محمد عبد الله عنان، المرع السابق، ج1، ص304

2/. العناصر الغير مسلمة:

أ/. اليهود: عند التحدث عن العناصر السكانية في إسبانيا لابد من التطرق عن اليهود بصفتهم من أقدم السكان فيها وأكثرهم أهمية، إذ يمثلون العصب التجاري للأندلس والقوة المالية لها، أما عن قدم تواجدهم فقد تطرقت سابقا لقصة الملك إشبان وجلبه لمئة ألف اسير يهودي، وقد تواجدوا كذلك في زمن القوط الذين أذاقوهم سوء عذاب، لينتهي بهم الحال إلى الترحيب بالفتح الإسلامي وخدمته هربا من المعاناة، فما كان من المسلمين إلا مقابلة هذا بالإحسان كذلك ، فلم يمنع يهودي من ممارسة دينه وشعائره ذلك بوصية من الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم ، كما أنهم بعد اندماجهم في المجتمع الاندلسي مع باقي العناصر تمكنوا كذلك من تقلد مناصب عديدة وهامة ، نذكر منهم حسداي بن إسحاق الذي ينسب له الفضل في تحقيق استقلالية يهود الاندلس عن المشرق [1]،وقيامه بجلب مؤلفات وكتب تسببت في الأخير في ظهور عوائل واسر طبية مثل آل حسداي، وقد كان هذا الأخير مقربا جدا من الخليفة عبد الرحمان الثالث ، وهذه الأسر بعضها لا يزال ليومنا هذا مواصلا في تاريخه الطبي، نذكر كذلك يهودا اللاوي (468هـ -536هـ) صاحب كتاب" الحجة والدليل في نصر الدين الذليل" دافع فيه عن الشريعة اليهودية مقابل الفلسفة اليونانية وشريعة النصارى ثم ديانة الإسلام [2]، ولابد لنا من ذكر أشهر عالم عرفته يهود الاندلس موسى بن ميمون ويعرف عند غير المسلمين ب "ميمونيدس"وهو من مواليد قرطبة سنة (530هـ) ولقد اهتم بالجانب الديني اليهودي حتى قال فيه بن أبي أصيبعة "عالم بسنن اليهود ويعد من أحبارهم"[3].

ننتقل للجانب الاقتصادي، يعتبر هذا الجانب الأهم عند الحديث عن اليهود فهم العصب التجاري كما قلت سابقا، فقد شارك اليهود في معظم جوانب التجارة ونشاطاتها ذلك بالحرية الممنوحة لهم من طرف المسلمين، وبتوجيه من أحبارهم الى هذا الجانب ، فيقول العالم التلمودي راب محاطبا ذويه : تاجر بمائة فلورين[4] تحصل على لحم وخمر أما اذا استغللت هذا القدر نفسه في الزراعة فأكبر ما ستحصل عليه هو الخبز والملح [5]، كما لهم مشاركة في التجارة بين المدن الداخلية وأقصد بذلك نقل السلع وحلات تجارية أينما حللت بالأندلس كما جاء عن ابن حزم ''ولقد كنت يوما بالمرية قاعدا في دكان

[1] أحمد بن القاسم بن خليفة أبو العباس ابن أبي أصيبعة (ت 668هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت، ص498

[2] مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي، رسالة ماجيستير، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، (1411هـ/1412هـ) .، ص160

[3] أبي اصيبعة، مصدر سابق، ص582

[4] الفلورين هي عملة فلورنسية

[5] ديورنت، ول وايريل، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، بيروت، 1408هـ، ج3، ص61

إسماعيل بن يونس الطبيب اليهودي (جاء بلفظ إسرائيلي)"[1]، ولقد أوضحت في جزئية الصقالبة أن هؤلاء التجار اليهود كانوا المصدر الأول للعبيد ، بالإضافة لعديد من التجارات الأخرى.

نأتي على ذكر مواطن استقرارهم بالبلاد، فتوصف أحياء اليهود بضيقها وأن لها أبواب تغلق ليلا وتسمى الدروب [2]كما عرفوا بانهم يتجاورون مع بعضهم البعض باستثناء قرطبة التي جمعت كلا من المسلمين واليهود فجاوروا بعضهم البعض ، سكن اليهود مدن عدة بحكم تجارتهم استهدفو المدن ذات الطابع التجاري فسكنوا اليسانة وغرناطة حتى أصبحت تعرف بأغرناطة اليهود[3] وقرطبة كما أسلفت قولا وطليطلة.

ب/. النصارى: نستهل الكلام بأن هذه الفئة هم السكان الأصليون لبلاد الأندلس ،كانوا يعاشرون المسلمين ويتكلمون العربية وهم أهل الذمة في الإسلام ذلك لحفاظهم على دينهم وهم نفسهم المعاهدين الذين كانوا تحت حماية المسلمين[4]، فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة)[5] ،وقد عُرفوا بمصطلح المستعربين.

كان النصارى يمثلون الفئة الكبرى في البلاد خلال السنوات الأولى من الفتح الإسلامي لكن لم يدم هذا الحال حيث بدأت أعدادهم في التناقص ذلك بسبب ظهور الأسالمة السابق ذكرهم، أما في صوف أحوالهم في البلاد فمثلهم مثل باقي العناصر لم يتعرضوا لأي نوع من الاضطهاد العرقي أو الديني فكانت لهم حرية ممارسة دينهم كيفما أرادوا شريطة الجزية المفروضة، وقال فيهم ابن القوطية "كان لهم قضاتهم كما كان بهم مطران مركزه طليطلة وحفظ العرب لهم أديرتهم و أكثر كنائسهم، غير أنه لم يطل بهم حتى استعربوا لسانا وزيا، وكان بعض رجالهم مثل ارطباس مقدما في عهد الولاة يستشيرونه في كثير من الأمور، وقد ولاه عبد الرحمان القماسة أي جعله قومسا وهو الذي نصح أبا الخطار بتفريق الشاميين[6] وهذا قد ذكر في البداية عند الكلام عن العرب.

---

[1] ابن حزم الاندلسي، رسائل ابن حزم، ج1، ص114

[2] توريس ليوبولد، المدن الاسبانية الإسلامية، ترجمة اليو دورو دي لابينيا، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط1، 1423هـ، ص314

[3] الحميري، المصدر السابق، ص45

[4] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق ،2، ص410

[5] الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (1420هـ)، صحيح سنن أبي داود، ط1، 1423هـ، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ج8، ص378، رقم الحديث 2687

[6] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ط،2 دار الثقافة، بيروت ـ لبنان، 1969م، ص 13

توافدت أعداد من النصارى من شتى الجهات فمن جهة الشرق الإسلامي هناك راهب من أرض فلسطين يدعى جورج من بيت لحم [1] وله من الشهرة نصيب كبير في قرطبة ، ولعل عبد الرحمان الناصر الخليفة قد أحسن عملا باستجلابه لهؤلاء الناس من العمال المهرة فبهم شيدت قصور فخمة خلفت عمرانا لا يضاهى مثل قصر الروضة وابنه الحكم الذي قام بجلب صناع من بيزنطة لتزيين الزيادة المضافة بالمسجد الأعظم بقرطبة ذلك بإضافة الفسيفساء [2].

افترق النصارى داخل البلاد من حيث طبقات المجتمع الى طبقتين اثنتين وهما، طبقة عليا فيها وجهاء النصارى وعلمائها وطبقة العامة لكن مع مرور الوقت اختفت هذه الفروقات خصوصا مع دخولهم للإسلام وتأثرهم بتعاليمه كثيرا.

انتشر النصارى داحل البلاد وذلك يعود لكونهم السباقين فيها وقد كانت ديانتهم الغالبة على الناس قبل الفتح الإسلامي بزمن طويل ، غير أن كتب التاريخ تروي أن هناك بعض المدن قد كانت تعج بهم دونا عن غيرها فنذكر منها قرطبة وإشبيلية وماردة وطليطلة ، ولابد أن الدارس سيلاحظ ذكر هذه المدن كثيرا عند الكلام عن أي عنصر سكاني فلا عجب من هذا كون هذه المدن كانت الأكبر تجاريا وسكانيا ، وبالنسبة للعنصر النصراني فالأمر مختلف قليلا فهذه المدن هي عواصم ملوك اسبانيا قبل الفتح [3]، فقد كان لقرطبة ثراء واتساعها دور هام في جذبهم كونها توفر فرصا للعمل [4]كما يتواجد بها كنائس وأساقفة وما الى ذلك من أمور تخصهم فنذكر كنيسة القديس مارتن واخرى باسم القديس أولالي [5].

وأما طليطلة فتعرف بكونها عاصمة القوط ومقر كرسي المطرانية [6]، وهي مدينة حصينة قال فيها ابن حيان "انها أم المعاقل، وقاعدة المدائن التي عظم في الأوائل خطرها وأعجز ملوك الأمم مرامها"[7] وحتى سنة 478هـ حين أخذها النصارى من المسلمين كانت مليئة بالكنائس فقد أحصيت حوالي التسع منها ، منها كنيسة جميع القديسين الكبرى وكنيسة مريم وأخرى

[1] أرض بفلسطين بقرب إيليا. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص123

[2] الفسيفساء: هي فن من الفنون المرصعة كان الملوك يزينون بها قصورهم ولا تزال تستخدم الى يومنا هذا. ينظر: علي باشا المبارك، الخطط التوفيقية، ط2، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة – مصر، ج13، ص34

[3] الحميري، المصدر السابق، ص59

[4] نفسه، ص456

[5] ميكيل دي ايبالزا، المستعربون أقلية هامة في الاندلس الإسلامية، ترجمة يعقوب دواني، الحضارة العربية في الاندلس، جمع سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 199، ج1، ص244

[6] المطران هي رتبة دينية عند النصارى ويكون مشرفا على عدة أساقفة. ينظر: أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، 1429هـ، ج2، ص1079

[7] ابن حيان، المقتبس القطعة الرابعة، ص272

ثم إشبيلية المدينة الواسعة العظيمة العامرة بالأسواق والكنائس، وكما نلاحظ فإن تركيزهم يصب على جانبين وهما العمل ببحثهم عن مدائن عامرة ثم الدين فلا تجد جمعا من النصارى إلا بالقرب من كنائسهم ذلك لما يجدوه من خلاص روحي على زعمهم، وبهذا نستوفي الكلام على النصارى والله أعلى وأعلم.

ثانيا. طبقات المجتمع الأندلسي:

اشتركت جميع الحضارات والدول التي قامت منذ فجر التاريخ عدا تلك التي تميزت بحكم ظالم في ثلاثة تقسيمات أساسية للمجتمع بصفة عامة وهي الطبقة الحاكمة وكما تسمى بطبقة الأرستقراطيين وهو مصطلح حديث، ثم طبقة البرجوازية وكما كانت تسمى قديما طبقة النبلاء وأغنياء البلاد ممن كبار التجار أو ذوي نسب نبيل وعريق وأخيرا طبقة العامة من الشعب الطبق العاملة ولعلهم أكثر الفئات.

يقول ابن الفقيه أن الناس أربع "الناس أربع طبقات: ملوك قدّمهم الاستحقاق، ووزراء فضّلهم الفطنة والرأي، وعليه أنهضهم اليسار، وأوساط ألحقهم بهم التأدّب، والناس بعدهم زبد جفاء وسيل غثاء لكع ولكاع وربيطة اتّضاع، همّ أحدهم طعمه ونومه."[1]

وفي موضع آخر قال معاوية للأحنف :صف لي الناس .فقال :رؤوس رفعهم الحظّ، وأكتاف عظّمهم التدبير، وأعجاز شهرهم المال، وأدباء ألحقهم بهم التأدّب، ثم الناس بعدهم أشباه البهائم، إن جاعوا ساموا، وإن شبعوا ناموا.

فذلك القول في تقاسيم الناس وأخبارهم، غير أن المتفق عليه كما قلت ثلاث: حكام ونبلاء وعامة.

1/ **الطبقة الحاكمة:** كانت هذه الطبقة تمثل الطبقة العليا في البلاد وهي تتكون من الأسرة الاموية الحاكمة فبداية من الرأس الكبير وهو الحاكم الى افراد اسرته الباقين، كما أنه في البدايات اقتصرت هذه الطبقة على أصول عربية ففي الأخير نحن نتحدث على الامويين ثم بداية من تولية البربر وغيرهم من الموالي في مناصب على مدائن كولاة وغير ذلك اختفت الميزة العربية، وبما أن النظام في الاندلس كان شبه اقطاعي[2] فقد شكل هذه الفئة كل من ملاك الأراضي الكبيرة رفقة الحكام السابق ذكرهم والأمراء والأعيان والتجار الكبار ذلك لما كان لهم من ثروة وجاه وسلطة.

ونشير إلى أفضلية النصارى في هذا الجانب كونهم يتمتعون بأقدمية في البلاد فقد حافظوا على جل ممتلكاتهم التي خولتهم للقفز في المراتب وأصبحوا من علية القوم جنبا الى جنب مع اثرياء اليهود وقاماتها، يذكر الدكتور بوتشيش في كتابه (أثر

[1] بو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه (365 هـ)، البلدان، ط1، تح يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، 1416هـ، ص57

[2] مصطفى شكعة، المغرب والاندلس، دار الكتاب الإسلامية، دار الكتاب المصري القاهرة، ط1، 1407هـ، ص، ص 50/49

الاقطاع) هذا الامر كمثال قرائني وتحديدا في ذكره لأبناء غيطشة الذين استمروا على وضعهم كأمراء إقطاعيين [1]، وإيخيلونا المدعوة أم عاصم التي احتفظت بممتلكاتها ذلك بعد زواجها بابن موسى بن نصير .

ولا نستثني من هذا رجال الدين من البطارقة والأساقفة وحتى حاخامات اليهود وبعض المولدين والموالي المخصيين مثل السابق ذكرهم وكل من تقلد منصبا في الدولة، وبعض العائلات النبيلة مثل آل حسداي.

2/. **الطبقة المتوسطة:** لعل هذه الطبقة الأكثر أمانا من حيث ابتعادها عن الصراعات السياسية والاغتيالات فهي أساسا كما يوحي اسمها ليست بطبقة كادحة تعيش لأجل يومها ولا هي بالطبقة التي تصب جل تركيزها في التمسك بالمناصب والسعي نحو السلطة ، فهي تجمع ببين ملاك الأراضي وأهل الحرف والعلماء الذين يزاولون نشاطين علمي وتجاري [2]، وتجد هذه الفئة غالبا في المدائن ذات الطابع التجاري والحواضر العلمية المدعومة من الحكام دعما ماليا ، نذكر منها قرطبة وطليطلة واشبيلية وحتى ماردة.

ومن العجيب أن هذه الطبقة بالذات كانت مصدر التهديد الأول لطبقة الحكام ففي كتب التاريخ نجد أن معقل الثورات التي قامت كانت بتدبير منهم، أبي إسحاق الإلبيري صاحب النونية ودوره الكبير في التحريض على ثورة ضد يهود غرناطة سنة (459هـ) [3] ، وبالعودة قليلا في الكلام تحدثت عن الثورة ضد الحكم الربضي ذلك عام 189هـ ، وهذا لم يكن سوى من العامة لكن بتحريض من طبقة العلماء والفقهاء فيقول ابن حيان :" ان من أشد الناس على الحكم هذا تحريضًا، رجل من الفقهاء اسمه طالوت٤ ، كان جليل القدر في الفقهاء، رحل إلى المدينة وسمع من مالك بن أنس وتفقه على أصحابه، وكان قويًّا في دينه؛ فلما الحكم بأهل الربض وأمر بتغريب من بقي منهم، كان ممن أمر بتغريبه طالوت الفقيه، فعسر عليه الانتقال ومفارقة الوطن، ورأى الاختفاء إلى أن تتغير الأحوال، فاستخفى في دار رجل يهودي سنة كاملة، واليهودي في كل ذلك يكرمه أبلغ الكرامة، ويعظمه أشد التعظيم؛ فلما مضت السنة طال على الفقيه الاختفاء، فاستدعى اليهودي وشكره على إحسانه إليه[4]، وبتحليل للكلام سنجد أنه فعلا كانت الطبقة المتوسطة تمثل اليد الخفية التي تتحكم في الاحداث من الخفاء عبر التحريض وما الى ذلك ، وكما أن هناك علاقة قوية بين أعضاء هذه الطبقة بغض النظر عن أصولهم وديانتهم ففي وقت المصلحة تكاتفوا جميعا وأشعلوا نيران الثورة ضد الحكام ، وهناك أيضا كمثال آخر الشاعر المدعو السميسر الغرناطي الذي ألف ابيات معارضا فيها باديس بن حبوس ، عموما فإن هذه الطبقة شكلت الحظر الأعظم بالنسبة للأمويين

[1] إبراهيم القادري بوتشيش، أثر الاقطاع في تاريخ الاندلس السياسي، رسالة دكتوراه، منشورات عكاظ، الرباط المغرب، ص71

[2] صالح خالص، اشبيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة بيروت، 1385هـ، ص، ص 52/51

[3] المقري، المصدر السابق، ج4، ص322

[4] عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين (ت 647هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تح صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 1426هـ/2006م، ص25

الحكام فلذلك حافظوا على علاقات طيبة معهم سواء بالرشاوي أو الهدايا أو حتى العفو الضريبي وهذا ما كان فيهم من جملة الكلام.

3/. طبقة العامة (الدنيا): نبدأ الكلام بالتعريف بالعامة فهي عكس الخاصة وقيل عامة لأنها تعم البشر كافة وذلك ما قال به ابن منظور في كتابه لسان العرب [1] وقيل لهم السوقة لأن الحكام يسوقونهم سوقا [2].

وهي الطبقة الأخيرة من حيث الترتيب، فلا أفرادها ذوي سلطة ولا هم بذلك الثراء، وهي طبقة مزدراة للسببين السابقين ،وذكر بعض الباحثين أن العامة هم سواء الناس الذين لم يكونوا يتمتعون بأي سلطة، والذين كانوا يعملون في شتى حقول الكسب، تمتعت هذه الطبقة بتركيب عجيب من كل الأعراق والأجناس التي سكنت بلاد الأندلس ففيهم من كل ديانة وكل صنف ، لاسيما وأنهم اختلطوا بالمزاوجة والمصاهرة ففي بادئ الأمر كانت هذه الطبقة تتشكل من كل العناصر السكانية لكن بشكل منفصل نظرا للارتياب الواقع بينهم لكن بمرور الوقت وتمازجهم جيدا زالت تلك العوائق والفوارق العرقية وهي ما تسبب في ظهور المولدين لاحقا .

تكونت هذه الطبقة من التجار والحرفيين ففيهم سماكرة وعكارين وعطارين وأصحاب الحمامات والحلاقين والطيابين [3]، فرضت عليهم ضرائب كبيرة نسبيا تدعى بضرائب" الحشود أو البعوث" يشترط عليهم إخراجها كل سنة للصوائف الغازية للممالك النصرانية في الشمال، ويتولى الوزير صاحب المدينة مسئولية إخراج الناس لتلك البعوث، ولا يمكن أن يتخلف أحد قادر على حمل السلاح إلا إذا كان لديه عذر شرعي أو أغلق عليه داره، بعلم الوزير صاحب المدينة، شريطة ألا يغادر منزله إلا بعد عودة الجيش من الغزو وعلى السبيل التحديد فقد عني بها أهل قرطبة وضواحيها [4] ، وهي نفس الضريبة التي ألغاها الأمير محمد بن عبد الرحمان بن الحكم (207هـ/273هـ) يقول ابن عذاري "كان الأمير محمد – رحمه الله! – مهتبلا بأمور رعيته، مراقبا لمصالحها. ووضع عن أهل قرطبة ضريبة الحشود والبعوث"[5]وذلك قول ابن حبان أيضا ، كما أنه مذكور أيضا أن هذه الطبقة قد أُثقل كاهلها بالضرائب فمنن باب الذكر أن غير المسلمين من هذه الطبقة لم تتم معاملتهم كالمسلمين بل فوق الضرائب المذكورة سابقا يضاف لها الجزية والخراج وهو ضريبة تجبى عن المحصول وتحدد طبقا لطبيعة أرض كل كورة[6] ،

[1] ابن منظور(711هـ)، لسان العرب، ط3، دار صادر – بيروت، 1414هـ، ج12، ص426

[2] نفسه، ج10، ص170

[3] ليوبولد توريس بلباس، الأبنية الاسبانية الإسلامية، تعريب علية إبراهيم العناني، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد الأول، السنة الأولى، 1372هـ، ص115

[4] سالم بن عبد الله الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1424هـ، ج2، ص507

[5] ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص109

[6] رينهرت دوزي، المسلمون في الاندلس، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م، ج1، ص48

وغيرها الكثير من الضرائب الأخرى التي كان جمعها يؤدي في النهاية لفقدان العديد من الفقراء الذين لا يمكنهم تحمل التكاليف يقول ابن حيان على لسان الشنتريني "حتى لغدا كثير منهم يلبسون الجلود والحصر، ويأكلون البقل والحشيش، وربما أبر ذلك على القوم بعد القوم منهم فلا يقاومونه إلا بالجلاء عن مثواهم، والتخلي عن قراهم، فلا يأسف هذان العلجان ومن تلاهما، ولا يخافان من مواقعة مثله لمن أقام بعدهم"[1] واصفا بذلك حالة هؤلاء المعدومين .

بالإضافة لما سبق من فواقر قاسمة للظهر فإن هاته الطبقة كانت الهدف الأول لكل وباء وطاعون يصيب البلاد يذكر ابن عذاري في كتابه البيان المغرب أن سنة 260هـ كانت سنة مجاعة وفاقة على الناس وذلك لما حصل من سوء من طرف الأمير فيقول "خرج المنذر بن الأمير محمد إلى سرقسطة وبنبلونة؛ وكان القائد هاشم بن عبد العزيز. فاحتل سرقسطة، وانتهب زروعها، وأذهب ثمارها وأشجارها، ونقل أطعمتها إلى وشفة، وتقدم إلى بنبلونة؛ فجال في أرضها، وأتلف معايش أهلها.

وفيها، كانت المجاعة التي عمت الأندلس؛ ومات فيها أكثر الخلق"[2]، يتوضح لنا هنا أن بعض الأزمات التي طالت البلاد كانت بالفعل مصطنعة من الحكام ولكن لا على سبيل التعميم فقد ذكرنا أن بعض الحكام قد ساهموا بالفعل في تخفيف الضغوطات والأوضاع الخانقة عن عامة الشعب لعلمهم بصعوبة المعيشة مثل الأمير محمد بن عبد الرحمان بن الحكم الذي أسقط الضريبة .

كما كان للخليفة زكاة وصدقات في المناسبات الدينية وغيرها مثل رمضان لقول ابن حيان "وفي غرة شهر رمضان تسارب مطوعة أهل قرطبة بالخروج الى الثغر الأعلى ممدين لأهله فانجفئوا راغبين في الجهاد بأموالهم وأنفسهم يوما اثر يوم، وأعجب السلطان ما كان من أنبعاث مطوعتهم دون الزام لهم واثنى بصالح بلائهم، وتجددت مدخل شهر رمضان صدقات الخليفة ونمت وزكت فنفع الله بها خلقا من محاويج الناس وضعفائهم"[3]، ومجمل القول فغن هاته الطبقة لم يكن أغلبها يجد ما يسد

[1] أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت 542هـ)، ط2، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1981م، ج5، ص19

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص102

[3] أبي مروان ابن حيان القرطبي(469هـ)، المقتبس في أخبار بلد الاندلس، ط1، تح عبد الرحمان علي الحجي، دار الثقافة بيروت ـ لبنان، المكتبة الاندلسية، ص226

به رمقه لشدة الفقر لقول صاحب كتاب نفح الطيب "فما عندي ممّا أضيفك غير ما سمعت، وما تراه، ثمّ قام وجاء من بيت آخر في داره بصحفة فيها حساً من دقيق وكسور باردة، فجعل يفتّ فيها"[1] فذلك يبين لنا معيشتهم التي تعتمد على بقايا الاكل الصابحة .

ورغم مارأينا من كلام على على هذا التفرع العجيب في طبقات المجتمع من ناس يعيشون عيش الملوك الى ناس في القاع لا يدري أحدهم أيجد خبزا لعشائه أم لا، الى أن هذا لم يمنعهم مزاولة حياتهم بشكل طبيعي وكل يؤدي مهامه بشكل طبيعي فتجدهم يتزوجون ويكونون الأسر بشكل عادي ولكل منهم عاداته وتقاليده المختلفة بحسب أصوله كما أنهم اشتركوا في العديد من الأمور بغض النظر عن عرقياتهم وتتكلموا اللغة اللغة الواحدة متعايشين تحت راية الإسلام وبغية هدف لا ثاني له وهو خدمة بلادهم، فلذلك حرصت الدولة الاموية على عدم التفرقة العرقية وركزت كذلك على إعطاء الحقوق لكل مستحق لها ومن هذه الحقوق فقد كفلت أمر التزويج وانشاء الأسر للجميع.

يقول عز من قائل " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"[2] فذلك قول الله عز وجل أحل به الزواج للمسلمين ولغيرهم كذلك .

وكان للاسلام طرق لتكوين الاسرة واتخاذ النساء فمنها الزواج والسبي وحتى ابتياع الجواري وماكان غير ذلك فقد حرمه جملة وتفصيلا اتقاء شر أعظم ولحكمة أبلغ منه عز وجل.

وهذا الذي سنتناوله في الفصل الثاني بحول الله.

[1] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج3، ص339

[2] القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية 13

الفـــصل الثاني

الأســـــرة الأندلسيـــــــة

أولا تكوين الأسرة

ثانيا مهام أعضاء الأسرة

ثالثا الحياة اليومية للأسرة

أولا: تكوين الأسرة

1/الزواج:

إن تكوين الاسرة في الإسلام مقصد عظيم حث عليه النبي الأكرم صلاة ربي وسلامه عليه كما أجازه الله عز وجل وجعل فيه بركة للناس ، ومن الأحاديث التي توضح لنا جواز هذا العمل ما جاء في صحيح البخاري فيقول : حدثنا عمر بن حفص بن غياث حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قالَ: "حَدَّثَنِي عمارة عن عبد الرحمان بن يزيد قَالَ» :دَخَلْتُ مَعَ عَلْقَمَةَ وَالْأَسْوَدِ عَلَى عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ :كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ شَبَابًا لَا نَجِدُ شَيْئًا، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ :يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ"[1]، وفي هذا بيان لمشروعية الزواج وترغيب من النبي للإقدام عليه وقد خصه على الاستطاعة لا على سبيل الجبار عليه .

وبالانتقال في حديثنا على أهل الاندلس فانهم قد تزوجوا وأسسوا الأسر على اختلاف الحالات الاجتماعية، فنجدهم قد تزوجوا من أهلهم وذويهم من نفس ذي العرق وكذلك فعلوا مع من اختلفوا عليهم من غير ذي ملة فعلى سبيل المثال تجد المسلم يتزوج من عند النصارى واليهود بصفة عادية، ولعل هذا يأخذ بنا لنرى هذا الزواج من وجهة نظر ولي أمر الفتاة فذُكر أن الآباء يشغل بالهم جدا موضوع زواج بناتهم عند اقتراب سنها منه ففي كتاب قديم للأمثال الشعبية هناك مثل مشهور عند أهل الاندلس يقول"اذا قالت البنت ددَّ، فكّر لها في محد"[2] وفي شرح هذا المثل الشعبي أنه بعزل الفتاة في المضجع يجب أن يبدأ الوالدان التفكير في زواجها ، وما كان يتبع هذا هو البداية الفعلية لهذا الامر فقد كان الزواج نعمة ونقمة في نفس الوقت ، فالأب سينقل أمانة ابنته لرجل آخر يتولاها لكن هذا بحد ذاته تتبعه نفقات كبيرة للعرس ، فالمجتمع الأندلسي قد عرف ظاهرة غلاء كبيرة في حاجيات الزواج نستذكر قصة محمد بن أفلح حين قال "أنكحت بنتي على عهد مولانا الحكم والحال بنا ضيقة..."[3]ويكمل قوله انه وقع على سيده الحكم لحاجته ولم يرده خائبا بل أعطاه وزن لجامه قطعا نقدية يقضي ما أراد بها قضائه، في هذا مدلول كبير على الضيق الذي يلاقيه الاب في هذا الامر وهذا على عهد الخلفية الحكم المستنصر 302-366هـ [4]، كل ما قيل كان مدفوعا بمخاوف الآباء على عنوس بناتهم وعدم تأمينهم لمستقبلهم نظرا لتزايد السبايا والجواري ذلك الوقت وعزوف الشباب عن الزواج متجهين نحوهم لتفادي نفقات الزواج الهائلة، لذلك ارتأى

---

[1] أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تح جماعة من العلماء، ط1 السلطانية، ج7، ص3، رقم الحديث 5066

[2] أمثال العوام في الاندلس، أبي يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي (617-694هـ)، تح محمد بن شريف، القسم 2، ص9

[3] أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني(542هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح احسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ط1، 1979م، ج7، ص63.

[4] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص382

الآباء أن تجهيز بناتهم بجهاز غالي قد يغري الرجال لخطبتهن ونحو ذلك ،فيذكر صاحب كتاب المعجب فيما ما يخص هذا الموضوع ".. ملأ الأندلس غنائم وسَبْيًا من بنات الروم وأولادهم ونسائهم. وفي أيامه تغالى الناس بالأندلس فيما يجهزون به بناتهم من الثياب والحلي والدور؛ وذلك لرخص أثمان بنات الروم، فكان الناس يرغبون في بناتهم بما يجهزونهن به مما ذكرنا، ولولا ذلك لم يتزوج أحد حرة..." [1]وذلك كان ما ذكرت سابقا .

بخصوص النساء فذهبن مذهب الآباء في نظرتهم للزواج على أنه هرب من العنوسة وسترة لهن وعفة ففي ذكر للأمثال هناك مثل شائع بينهن يقول "زوج سو، خير من فقد"[2] وفي الشرح يقول أن المعنى زوج سيء خير من عدم الزواج.

بالعودة للرجال، الفوارق الاجتماعية التي تحدثنا عنها كانت أحد الأسباب الرئيسية التي دفعتهم للعزوف عن الزواج التقليدي بمفهومه العامي، واتجهوا كما ذكرت الى السبايا، والى الزواج من غير المسلمات ومنهم من امتنع عنه تماما لما رأوه من شدة ومسؤولية كبيرة وعناء فيه.

ننتقل للجانب الذي يحدد سن الزواج في هذا المجتمع ، فقد كان العامل الأساسي المبني عليه هذا العقد هو اطاقة المرأة للزواج أو عقد القران بدون دخول حتى بلوغ السن ، يظهر لنا هذا في نوازل ابن الحاج في قصة الرجل الذي ابى تزويج ابنته لصغر سنها فحينها كانت تبلغ ثماني سنوات فقط غير ان الأب اشترط عليه الدخول بها بعد أربع سنوات وأعطاها له ، لكنه أخلف الوعد ودخل بها بعد سنتين فكرهته ولم تطقه فأمر صاحب أحكام الجهة اختلاعها منه مع احتفاظها بكل ما أعطاها من مهر زواج وما أخذت معها [3].

على النقيض فقد عومل الذكر معاملة أخرى مشترطين فيه بلوغ الحلم أو تجاوز الصبا، ذلك ما ذكره ابن حزم فيقول "وأنا أخبرك عن أبي بكر أخي رحمه الله، وكان متزوجاً بعاتكة بنت قند، صاحب الثغر الأعلى أيام المنصور أبي عامر محمد ابن عامر، وكانت التي لا مرمى وراءها في جمالها وكريم خلالها، ولا تأتي الدنيا بمثلها في فضائلها، وكانا في حد الصبا "[4]، وذلك تأكيد ما قلت سابقا.

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص37

[2] الزجالي، المصدر السابق، ص229، رقم 1007

[3] ابن الحاج التجيبي، نوازل ابن الحاج، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان . المغرب، ط1، 2018م، ج2، ص363، مسألة رقم 332

[4] أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت 456هـ)، رسائل ابن حزم الأندلسي، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1980م، بيروت . لبنان، ج1، ص259

-نأتي على ذكر مراحل تكوين الاسرة فهي أربع مراحل أساسية:

. **بداية باختيار الزوجة:** والتي كانت عبارة عن تفضيلات لا يمكن حصرها في نقاط غير أنهم اشتركوا جميعا في كره بعض الصفات في النساء مثل النحافة يقول صاحب كتاب نفح الطيب" ثم أطلعت علينا عجفاء كلفاء، عليها قرقل هروي أصفر غسيل، وكأن وركيها في خيط من رسحها، فقلت لأبي السائب :بأبي أنت! ما هذه فقال: اسكت، فتناولت عوداً فغنت"[1]

والعجفاء عند العرب هي الهزيلة الملتصق عظمها على لحمها مثلما ورد في سورة يوسف الآية 43 في ذكر البقرات العجاف يقول عز وجل (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ)، وكذلك مالوا كثيرا لمسألة الفتاة البكر وهو واقع امتد حتى يوما هذا في مجتمعاتنا العربية إذ يربط الرجال الفتاة البكر بمسألة الشرف ونحو ذلك.

من النقاط الأخرى ميلهم للحسن والجمال على الصفات الأخرى، فيقول الزجالي في كتاب الامثال "أي هو النمش ثم أفتش"[2] والنمش صفة خلقية تكون في النساء الشقراوات بكثرة واعتبره أهل الاندلس من علامات الحسن ، وعموما فالصفات تباينت بين كل رجل وآخر .

هناك أيضا مسألة الفوارق العمرية في الزواج فلم يحبذ أهل الاندلس زواج الكبير من الصغيرة بفارق عمري كبير نجد ما قيل في هذا الامر في أبيات شعرية قالها الشاعر يحي الغزال الاندلسي[3]:

إن الفتاةَ وإن بَدَا لك حبهُّا ... فبقلبها داءٌ عليكَ دفينُ

وإذا ادّعين هوى الكبير فإنّما ... هو للكبير خديعةٌ وقُرُونُ

وإذا رأيتَ الشيخَ يهوىَ كاعباً ... فَعَلَيْه من درِكِ القُرُون دُيُونُ..

وقال أيضا:

أنا شيخٌ وقلتُ في الشيخ مَا يَعْ ... لمه كلُّ أبْلهٍ وذَهِينِ

[1] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج3، ص141

[2] الزجالي، المصدر السابق، ص243، رقم476

[3] يحي بن الحكم الجياني (156هـ، 250هـ) المعروف بالغزال شاعر مطبوع من أهل الاندلس جليل القدر ومقرب من ملوك الاندلس؛ ينظر معجم شعراء العرب، ص2294.

كلُّ شيخ تراه يكثر من كس ... ب الجوارِي فخذه لي بالقرونِ...[1]

ولعل جل الامر أنهم لم يريدوا للبنت أن تلد ثم يموت عليها زوجها مبكرا تاركا إياها تعيل الأبناء لوحدهم وهذا يرتبط بما قيل سابقا على الأوضاع المعيشية المائلة للشدة آنذاك والله أعلى وأعلم.

ومن أهم طرق اختيار الزوجة كانت العجائز في الحمامات العامة النسائية فيقع الاختيار هناك أو يراها الشاب في الأسواق العامة الكبرى مثل أسواق العطارين بقرطبة فيذكر ابن حزم حادثة عن هذا القبيل أن يوسف بن هارون الشاعر الذي عُرف بالرمادي قد رأى جارية في شارع العطارين بقرطبة فشُغف بها ثم غابت عنه واشتد حبها في قلبه حتى نظم عنها شعرا كثيرا منه:

عيني جنت في فؤادي لوعة الفكر ... فأرسل الدمع مقتصاً من البصر

منها بإغراقها في دمعها الدرر ... فكيف تبصر الدمع منتصفاً

لم ألقها قبل إبصاري فأعرفها ... وآخر العهد منها ساعة النظر..[2]

الخطوبة:

بعد ان يختار الرجل المرأة التي يريد الزواج منها تأتي هذه المرحلة كمرحلة جدية وهنا تنتقل المسؤولية لولي الامر ان كانا على قيد الحياة وخصوصا الأم فتذهب إلى أسرة الفتاة لطلب رأيهم والاستفسار عن الفتاة أكثر والموافقة بين الطرفين وهناك بالتأكيد حالات يكون فيها الفتى يتيم الاهل فتتطوع نسوة بهذا العمل يقول ابن حزم"أحب الأعمال إلى امرأة صالحة مسنة منقطعة الرجاء من الرجال ان تسعى في تزويج يتيمة أو تعير حليها أو ثيابها لعروس فقيرة، ويبدو ان هذا النوع من النساء إنما ينتمي إلى طبقات ميسورة..."[3] وعلى حد قوله أن الرجال والنساء على حد السواء كانا يتوجهن إلى العجائز كونهن

[1] أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي المعروف بابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، بهجة المجالس وأنس المجالس، ص182

[2] ابن حزم الاندلسي، المصدر السابق، ج1، ص122

[3] نفسه، ج1، ص71

يحفظن الاسرار ويقضين الحوائج ونحو ذلك ، ثم بعد الخطوبة كان يسمح للرجل أن يرى الفتاة بحضور والدها أو اخيها يُذكر ذلك في قصة معاوية بن صالح الاندلسي في كتاب قضاة قرطبة حين أراد صهره زياد بن عبد الرحمان أن يرى خطيبته وهي ابنة صالح السالف ذكره [1] ، ولاحقا تأتي الأمور الأخرى من دفع للمهر وغيرها وهو مبلغ يحدد تبعا للمذهب المتبع في البلاد مثل مذهب الامام مالك رحمه الله الذي قال "لَا أَرَى أَنْ تُنْكَحَ الْمَرْأَةُ بِأَقَلَّ مِنْ رُبْعِ دِينَارٍ، وَذَلِكَ أَدْنَى مَا يَجِبُ فِيهِ الْقَطْعُ"[2]هذا كحد أدنى أما كتسقيف فلم يرد شيء منه سوى حديث من النبي صلى الله عليه وسلم : (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ» :مَنْ أَعْطَى فِي صَدَاقِ امْرَأَةٍ سَوِيقًا، أَوْ تَمْرًا، فَقَدِ اسْتَحَلَّ)[3] وفي معنى الحديث ما يوافق أن حتى الطعام يفي كمهر للنساء والله أعلى واعلم.

ثم يتبع بالصداق والتوثيق لعقد الزواج ذلك بتوفير الشروط التي تلخصت عند ابن سهل في ثلاث بقوله: فرائض النكاح ثلاث: الولي والصداق وشاهدًا عدل، وسنة ثلاث :إظهاره والوليمة والدخلة. والنكاح مندوب إليه لمن قوى عليه، ولا يكون إلا بولي ذكر، وصداق ولا حد أكثره، وأقله محدود وهو ربع دينار ذهب، أو ثلاثة دراهم كيلا، أو ما قيمة أحدهما، ولا يبني بها حتى يقدمه إذا كان هذا المقدار، فإن كان أكثر وقدم منه هذا المقدار جاز البناء[4] .

حفل الزواج:

كان حفل الزفاف يجري في بيت العروس تجتمع فيه النساء من كل صوب من معارفها ومعارف أهل زوجها محملين بالهدايا ويستمر أياما قد تصل لأسبوع ذلك يرجع للحالة المادية وتختتم بذهابهن الى الحمام النسائي العام ويمكن القول فيه أيضا أنه طقس من الطقوس المرتبطة بمفهوم الطهارة قبل الزفاف وهذا ضمن المعتقدات التي شاعت بين النساء خصوصا ثم الرجال

[1] الخشني القروي(611هـ)، قضاة قرطبة، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري بالقاهرة /دار الكتاب اللبناني بيروت، المجل د6، ص. ص 56/55

[2] مالك بن أنس الأصبحي (179هـ)، الموطأ، تح محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ]، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان1406 م، ج2، ص527

[3] أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ)، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تح ماهر ياسين الفحل، ط1 ،1435هـ، دار القبس للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ص396؛ وينظر أيضا: الإفصاح عن أحاديث النكاح، تح محمد شكور أمرير الميادیني، ط1، 1406هـ، دار عمار – عمان – الأردن، ص84

[4] ابن سهل(486هـ)، ديوان الأحكام الكبرى، تح يحيي مراد، دار الحديث، القاهرة – جمهورية مصر العربية، 1428هـ، ص175

لاحقا 1فيقمن به ما يعرف بالحنة وهو احتفال تحنى فيه ايدي المرأة ورجليها ويقمن بالاحتفال ثم في يوم زفافها كما يدعوه ابن هشام اللخمي بيوم الجلوة ويعرفها باليوم الذي تجلى فيه العروس والكملة اشتقاق من الجلاء أي تتجلى لزوجها ويراها2 تتزين العروس وتنتظر الزوج مع أهله حتى يأخذها من بيت والدها ليقوم الأخير بزفها ولعل كلمة زفاف جاءت منها والله اعلى وأعلم.

ليختتم الحفل بدخول العريس بزوجته ولا يظهر للناس لأسبوع كامل يسمى سابع العروس كما ذكرها صاحب كتاب نفح الطيب3 ولاحقا تزور أهلها ويحتفل بها ثانية لكن بشكل اقل ن وهنا تنتهي مراسم الزفاف بالكلية .

2/نهاية العلاقة (الطلاق):

يعتبر الطلاق مسألة شائكة في تاريخ الاسرة الاندلسية وهو أمر مشروع من الله عز وجل لقوله تعالى (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)[4]، فذلك قوله فيه فإن استحالت سبل التعايش بين الزوجين فلهم الانفصال بالمعروف .

أما بخصوصه في الاندلس فقد كانت الشروط التي تفرض من النساء تعطي الأفضلية لهن ويمكن القول حتى أن عصمتهن بأيديهن فمن الشائع الطلاق في الاندلس لأضرار تلحق بالمرأة فشاع طلاق التمليك بتمليك الزوجة نفسها في حالات الإهمال معيشيا أو جنسيا[5]، وحتى زواجه بثانية دون رضاها وقد ورد ما ورد من هذه الحالات في كتاب الوثائق والسجلات

[1] بختيل شيماء/بحيليز سهيلة، الزواج والاعراس في الاندلس في العصر الوسيط، مذكرة ماستر، جامعة تيارت، السنة الجامعية 2022-2023م، ص57

[2] ابن هشام اللخمي (ت 577 ه)، المدخل إلى تقويم اللسان، تح حاتم صالح الضامن، ط1، 1424ه، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ص230/229

[3] المقري التلمساني المصدر السابق، ج1، ص423

[4] القران الكريم، سورة البقرة، الآية 229

[5] محمد بن احمد الاموي المعروف بابن العطار (399ه)، تح شالميتا، مجمع الموثقين المجريطي المعهد الاسباني العربي للثقافة مدريد اسبانيا، 1983، ص327

لابن العطار الاندلسي كما جاء عنده الكثير من الأمثلة من طلاق الامة الى الحرة وغيرها ، وكذلك ما أن كان يجاز لها الطلاق وهي حائض أم لا ونحو ذلك [1] .

3/ المرأة في الاندلس:

إن المرأة لها ما لها من الحقوق وعليها من الواجبات ما استحقت كذلك وهي الوجه الثاني للمجتمع والنصف الآخر له ، وإنما تقدير أهل الاندلس للنساء نابع من دينهم الحنيف ووصايا نبيهم الكريم لقوله عز من قائل (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[2] وفي هذا بيان للعلاقة التي توجب أن تكون بين النساء والرجال مبنية على المودة والرحمة ، ولقوله صلى الله عليه وسلم: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ شَبِيبِ بْنِ غَرْقَدَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ قَالَ :حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " :اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ }إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ] {النساء: 19 [فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِلَّا إِنَّ لَكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقٌّ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ، فَلَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ، وَطَعَامِهِنَّ "[3]، وهذا يذكر على وجه الخصوص أنه من انصاف ديننا الحنيف لهن .

والنساء في الاندلس كما ذكرت مسبقا أنهن على صنفين بين أمات مملوكات وحرائر وكل منهن لها حقوق وواجبات منفصلة وأخرى مشتركة.

---

[1] ابن العطار ،المصدر السابق، ينظر ص18 وما بعدها

[2] القران الكريم، سورة الروم، الآية 21

[3] أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت 303 ه)، السنن الكبرى، تح حسن عبد المنعم شلبي، ط1ن 1421ه، مؤسسة الرسالة – بيروت، ج8، ص264، رقم الحديث 9124

فنجد أن النساء الحرائر كن من زوجات الأمراء وذوي الجاه والسلطان ولا يعني انحصارهن في هذه الطبقة فقط بل تواجدت كثير من الحرائر في طبقة العامة ويمكن القول إن أكثر هذه الفئة في هذه الطبقة إلا أنه كما قلت سابقا بسبب التكاليف العالية للزواج ممن الحرائر فقد توجه الشباب للجواري والسبايا، وما كان يميزهن عن الأمات أنهن محجبات ولا يعملن الا القليل منهن ولا يقابلن الغريب فتحدث ابن الابار عن ادريس بن يحي العلوي فشكر صفاته جمعاء سوى أنه كان يصاحب الانذال ولا يحجب نساءهُ عنهم [1]وفي هذا إشارة واضحة إلى أهمية الحرمة واحتجاب نساء المسلمين عن غير محارمهم ، وقد قال فيهم ابن حزم "ربات الخدور المحجوبات من أهل البيوتات"[2] وأما في جانب الحقوق فقد كفل الإسلام كل لوازمها التي تحتاجها وحفظ لها حقوقها ففي مثال عن هذا قد ذكرت حقوقها عند الطلاق مثلا كما أنه ليس للرجل التصرف في مالها الخاص بدون إذنها وحقها في النفقة ونحو ذلك من الحقوق ، يقول ابن حزم عن كيفية تمضيتهن للوقت "فلبثن صدراً من النهار ثم تنقلن إلى قصبة كانت في دارنا مشرفة على بستان الدار ويطلع منها على جميع قرطبة وفحوصها، مفتحة الأبواب؛ فصرن ينظرن من خلال الشراجيب وأنا بينهن" [3]والشراجيب هي نوافذ بشبكات معدنية أو خشبية تمنع الرؤية من الخارج للداخل والعكس يمنكن الرؤية وهكذا يمضين الوقت كما كن يزرن أقاربهن .

أما الجواري فلم يتمتعن بالقدر نفسه من الحقوق ولكن أثقلن بالواجبات، فكان يشترط في شراء الجواري الجسد المتناسق الجميل وحسن الوجه وإجادتها للغناء والرقص كما جاء في سيرة ابن الكتاني حين عرض جارية بثلاثة آلاف دينار فأحجموا عن شراءها لغلاء سعرها فلما اشتراها صاحبها وجدها بارعة الجمال جميلة الخلق والخليقة باهرة الصوت [4] وزرياب القائل فيه صاحب كتاب نفح الطيب "وكان لزرياب جارية اسمها متعة، أدّبها وعلّمها أحسن أغانيه حتى شبت، وكانت رائعة

[1] ابن الأبار(685هـ)، الحلة السيراء، تح حسين مؤنس، دار المعارف – القاهرة، ط2، 1985م، ج2، ص29

[2] ابن حزم الاندلسي (456هـ)، طوق الحمامة في الألفة والألاف، ط2، تح احسان عباس، 1987هـ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت / لبنان، ص117

[3] نفسه، ص250

[4] أبي الحسن الشنتريني، المصدر السابق، ج3، ص112

الجمال" [1]بهذا نجد تقسيمين أساسيين وهما، جواري المتعة التي تكون مخصصة للوطء وعلى حسب حالتها فقد تصبح من القسم الثاني وهو أم الولد إن حبلت وأقر سيدها بذلك [2] وإن أنكر فلا يعترف به ولا يلتفت لكلامها ولعله من أساليب حماية الممتلكات في الفقه المالكي والله أعلم بصدقه وأحقيته ، وهناك مسألة مثيرة للاهتمام بخصوص العورة فعورة الجارية ليست كعورة الحرة ففي الفقه جاء في كتاب إحكام النظر لابن القطان "وأجمعوا أنَّ الأمَة ليس منها عورة إلا ما من الرجال، والعلماء مجمعون على أن الله –عَزَّ وَجَلَّ– لم يرد بما أمر به النساء من الاحتجاب، وأن (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) الإماء، وإنما أراد بذلك الحرائر[3] " لكن كثيرا من الفقهاء كرهوا هذا كابن رشد وابي حامد الغزالي رحمها الله وقال أنها تنهى عن الخروج بلا سترة وتضرب عليها [4].

وهذه كانت اهم الفروقات الجوهرية بين الحرة والعبدة، فهذا الاختلاف نابع من واقع طبقي نفعي مدعوم بآراء فقهية لا يدري صحتها من عدمها ففي الأخير هي تفاسير لا تآويل.

وقد كان للمراة دور هام في هذا العصر وخصوصا في الجانب الثقافي فنجد أن المرأة قد كانت كاتبة على عهد الناصر وولده الحكم وكذلك قد برعت المرأة في مهنة الخط والكتابة ونسخ المصاحف والشعر نذكر منهن حسانة التميمية ابنة الاشعر ابي المخشى عاصم [5]، ولقول ابن فياض في كتابه أخبار قرطبة "كان بالرَّبض الشرقي منقرطبة مائة وسبعون امرأة، كلهن بكتبن المصاحف بالخط الكوفي؛ هذا ما في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها" [6]

[1] المقري التلمساني، مصدر سابق، ج3، ص131

[2] محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت 1230هـ)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، ج4، ص408

[3] علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن ابن القطان (ت 628 هـ)، إِحْكَامُ النَّظَرِ فِي أَحْكَامِ النَّظَرِ بِحَاسَّةِ البَصَرِ، ط1، 1433هـ، تح إدريس الصمدي، ص224

[4] نفسه، ص225

[5] أحلام حسن مصطفى النقيب، المرأة الاندلسية ودورها في الحياة الثقافية، كلية التربية جامعة الموصل. العراق، مجلة المورد، العدد الأول، 1999م، ص57

[6] عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص267/266

. ثانيا مهام أعضاء الأسرة:

إن مهام الاسرة تقتصر أساسا في أحد المقاصد الشرعية من هذا الزواج ألا وهو النسل، يقول عز من قائل (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (89)فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ(90))[1] فهو مقصد عظيم ولبابة يسعى لها الشخص أنثى أو ذكر ،وصلاح الذرية هو ثاني مقصد في هذه المسألة وهي مرتبطة بالتربية الصحيحة والنشأة الصحية القائمة على توفير العيش الكريم والتربية الدينية الصحيحة بعيدا عن التطرف وما شابهه ، وهذا الذي سيقودنا الى ثلاث مهام رئيسية للأسرة .

1/. النسل أو الإنجاب:

وهذه المرحلة كانت في الغالب تبدأ بعد حوالي الشهرين من الزواج وربما أقل وأكثر فلا يمكن التنبأ بموعدها حيث تبدأ تظهر بعض الأعراض الشائعة عندهم مثل الغثيان وانقطاع الدورة وغيرها ، ويقول السقطي صاحب كتاب الحسبة في هذا الأمر "ويختبر حمل المرأة بأن يوضع تحتها بخور أو عنبر ويمنع أن يخرج من أردانها أو على ثيابها فإن ظهرت الرائحة على فيها فهي حامل وإن لم تظهر فليست بحامل، وقيل أمر عجيب إن صح ولا أعلم كيف ذلك وهو أن يقدر بخيط من وسط سرة المرآة إلى وسط الفقارة المحاذية لها من ظهرها ويعلم المكان بمداد ويدار القياس إلى الجانب الثاني من الموضع إلى الموضع فإن نقص الخيط من الجانب الأيمن عن العلامة فهي حامل بذكر وإن طال فهي حامل بأنثى والله أعلم بذلك."[2]

وخلال الحمل لا تكلف المرأة بأي عمل مجهد بل تنصح بالراحة وتساعدها في أمور المنزل إحدى أقاربها وخصوصا في الأشهر الأخيرة من الحمل أين تكون تحضر نفسها للولادة ، وعندما يحين الوقت تستدعى بعض القابلات وهن نساء يعملن في مهنة التوليد ذلك لحرمة النساء ولا يولدهن رجل أو كما قال فيهم الزجالي هن نساء تستقبلن الولد عند خروجه من بطن أمه [3] وهنا تستخدم القابلات الماء الساخن للتعقيم وأقمشة نظيفة في هذه العملية ، وبعد الولادة يستدعى والد الطفل لتبشيره وتسميته والتأذين في أذنه ، ثم بعد أيام تذبح شاة تسمى العقيقة "أصلها الشعر الذى يكون على رأس الصبيّ حين

[1] القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية /89.90

[2] أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي، آداب الحسبة [مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، تح ليفي بروفنسال، مطبعة إرنست لورو – باريس، 1931م، ج21، ص52/53

[3] الزجالي، مصدر سابق، ص52، مثال رقم 204

يولد، وإنما سمّيت الشاة التي تذبح عنه في تلك الحال عقيقة؛ لأنه يحلق عنه هذا الشعر عند الذبح"[1]، ويختتن الطفل عند وصوله سنا مناسب يتراوح ما بين السنتين الى ثلاث مستدلين بأقوال جائت عند المذاهب الكبرى وكذا في كتب الحديث مثل صحيح البخاري " فالختان :سنة عند الحنفية والمالكية: واجب عند الشافعية والحنابلة للذكر والأنثى، كما بينا في شرح الحديث السابق. ويجب للذكر والأنثى في رأي الحنابلة عند البلوغ ما لم يخف على نفسه، لقول ابن عباس(وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك)"[2]،فهنا يقوم الختان باستئصال القلفة كما في قول ابن منظور "خَتَنَ الخاتنُ الصَّبِيَّ فأَطْحَرَ قُلْفَته إِذا استأَصلها"[3] ويقام حفل على حسب يسر أهل الطفل ، وننوه على ان الختان انتقل الى النصارى كذلك في مرحلة ما من القرن التاسع للميلاد .

2/. تربية الأبناء وتعليمهم:

اتباعا لقول نبينا الكريم عمد اهل الأندلس لانتهاج سبل صارمة في تربية أبنائهم وتوجيههم على هداه صلى الله عليه وسلم ، فمن ناحية الأم يبدأ دورها منذ الحمل فهي تحافظ على نفسها من كل سوء وبعد الولادة تبدأ في مراقبة أكلها ومراقبة سلوكياتها كي لا يتطبع بها الولد وتفسد أخلاقه ، ففي سنن ابن ماجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم"[4]، وهذه وصية هامة فأساس التربية الصالحة هو النهج المتبع فيها المبني على الأدب والأخلاق ، وهذا ما فعله أهل الاندلس بالذات ، ولاحقا عند بلوغ الطفل السبع سنوات يبدا تعليمه الصلاة يبدأ الوالدين تعليمه الصلاة ويضرب على عشر كي يلتزم بها امتثالا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم لقوله " عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمُ الصَّلَاةَ إِذَا بَلَغُوا سَبْعاً وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا إِذَا بَلَغُوا عَشْراً وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المضاجع" [5] وهذا من الآداب ، ثم إن التربية قد أخذت مسارين متباينين ،

[1] أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، غريب الحديث، ط1، 1404هـ، تح حسين محمد شرف، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ج2، ص154

[2] وهبة بن مصطفى الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ط4، دار الفكر - سورية – دمشق، ج1، ص465

[3] جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت 711 هـ)، لسان العرب، ط3، 1414هـ، دار صادر – بيروت، ج4، ص494

[4] ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت 273 هـ)، سنن ابن ماجه، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، ج2، ص1211

[5] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، ص 7473، رقم الحديث 7473

فأحدهما يرى بأن التربية لا تكون باللين بينما الاخر يرى عكسه فنجد ابياتا لشاعر واحد يدعى ابن خفاجة في هاذين الجانبين فيقول :

نبه وليدك من صباه بزجرة ...فلربما أغفى هناك ذكاؤه

وانهره حتى تستهل دموعه ...في وجنتيه وتلتظي أحشاؤه[1]

ويقول كذلك:

سدد مرامي الطفل في شأنه ...بلفظة تشدد بها أزره

واكتف باللمحة من فهمه ...إن المبادي أبدا نزره[2]

فهنا يوضح لنا الشاعر أن هناك طريقتين للتربية وتطبيقهما يعتمد على سلوك الطفل أعنيد هو أم وديع، ولعله أراد إيصال فكرة معينة وهي أسلوب الشد والإفلات كحل وسطي في التربية، وهذا ما كان في جانب التربية العادية والدينية، والله هو الذي يتكفل بصلاح العبد وطلاحه وما نحن سوى أسباب.

في الجانب التعليمي للأطفال فإن الأهالي كانوا يهتمون كثيرا به، وتبدأ دراسة الطفل عموما في سن السبع سنوات وربما أقل اعتمادا على نباهته واستيعابه، وقد انقسم الناس في هذا الى صنفين ، صنف يُدرس أبنائه بصفة عادية في المدارس العامة نذكر منها مدرسة بني حزم التابعة لعائلة اشتهرت بالأساتذة وهي مدرسة بقرطبة يدرس فيها الأب الصبيان والابن الفتيان والبنت للفتيات [3] ولعلنا نستنبط من هذا الكلام أن التأثير الديني غالب على المجتمع بشكل كبير فهذا الفصل بين الجنسين أساسه ديني بحت، في جانب آخر نجد من يأجر مدرسين خصوصيين نجد في رسائل ابن حزم قوله "لقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري، لأني ربيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب وحين تبقل)٢ (وجهي؛ وهن علمتني القرآن وروينني كثيراً من الأشعار ودربنني في الخط، ولم يكن وكدي وإعمال ذهني مذ أول فهمي وأنا في سن الطفولة جداً "[4]، كما أن الخلافة بحد ذاتها اتخذت من التعليم أولوية للأطفال يذكر ابن عذاري في كتابه البيان المغرب عن الخليفة الحكم "..اتخاذه المؤدبين يعلمون أولاد الضعفاء

[1] ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، تح مصطفى غازي، منشأة المعارف ـ الإسكندرية، 1960م، ص101

[2] نفسه، نفس الصفحة

[3] خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية في الاندلس، أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط2، 1994، ص131

[4] ابن حزم، مصدر سابق، ج1، ص166

والمساكين القرآن حوالي المسجد الجامع وبكل ربض من أرباض قرطبة؛ وأجرى عليهم المرتبات، وعهد إليهم في الاجتهاد والنصح، ابتغاء وجه الله العظيم؛ وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتبا، منها حوالي المسجد الجامع ثلاثة، وباقيها في كل ربض من أرباض المدينة"[1].

في هذا بيان لما جاء في ذكر التعليم والتربية في بلاد الاندلس بحول الله.

. ثالثا الحياة اليومية للأسرة:

1/ اللباس:

اللبس من المظاهر التي تعكس وضعية الفرد في المجتمع فلباس طبقة الأغنياء ليست كلباس الفقراء، وقد تعبر الملابس حتى عن حالة الانسان النفسية فلباس الافراح من الأعياد والمناسبات يكون جديدا ومبهرجا على عكس ذلك عند الحزن الذي يكون داكنا مائلا للسواد يعكس قتامة المشاعر اللحظية، فكان لأهل الاندلس اهتمام بالغ بهذا الجانب وخصوصا نظافة ملابسهم وكذلك أجسادهم الامر الذي يوضح لنا بشدة أثر انتشار الأسواق وكيف أن التجارة في الاندلس أسهمت نوعا ما في عيش متواضع لأهلها، يقول صاحب كتاب نفح الطيب ‘‘وأهل الأندلس أشدّ خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون، وغير ذلك ممّا يتعلّق بهم، وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه، فيطويه صائماً ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعةً على حالة تنبو العين عنها"[2] .

كذلك نجد أن الصناعات الحريرية والنسيجية كانتا مكثفتين في البلاد ففي المرية يقول الادريسي "مدينة المرية كانت في أيام الملثم مدينة الإسلام وكان بها من كل الصناعات كل غريبة وذلك أنه كان بها من طرز الحرير ثماني مائة طراز يعمل بها الحلل والديباج والسقلاطون والاصبهاني والجرجاني والستور المكللة والثياب المعينة "[3] أما الحرير فمدينة "جيان وجملة حصون وقرى كثيرة تشف على ست مائة قرية يتخذ بها الحرير"[4].

وقد اختلفت الملابس من الرجال للنساء ، فالرجال تجدهم يلبسون العمائم [5] غير أن هذا اقتصر على الوقت الأول فقط أما ما بعد عبد الرحمان الداخل امتنع الناس عنها مثل يحي بن يحي الليثي الذي حصرها على الجمعة فقط "وَكَانَ يَأْتِي

[1] ابن عذاري المراكشي، مصدر سابق، ج2، ص240
[2] المقري التلمساني، ج1، ص223
[3] الادريسي، مصدر سابق، ج2، ص562
[4] نفسه، ص537
[5] المقري، مصدر سابق، ص261

الْجَامِعَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَاجِلا مُتَعَمِّمًا"[1]، كما لبسو القلنسوة والطيلسان ، أما الطيلسان فقال فيه المطرزي ''تَعْرِيبُ تالشان وَجَمْعُهُ طَيَالِسَةٌ وَهُوَ مِنْ لِبَاسِ الْعَجَمِ مُدَوَّرٌ أَسْوَدُ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الشَّتْمِ يَا ابْنَ الطَّيْلَسَانِ يُرَادُ أَنَّك أَعْجَمِيٌّ"[2] وكذلك الأقروف الذي هو عبارة عن لباس للرأس كما جاء عند ابن حيان [3] وغيرها وذلك اختلف من عرب لبربر الى نصارى ويهود ، كل يلبس ما يفضله لهذا تنوعت الألبسة كثيرا وعموما فقد امتازت باللبس النظيف والألوان غير الداكنة كثيرا ، أما في لباس سائر البدن فتبعوا سائر الناس ولبسوا قميصا مستندين كذلك على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ولبسوا السراويل وهي كلمة مشتقة من شلوار الكلمة الفارسية [4]، وقد ارتدوا كذلك الازار في حالات اشتداد الحرارة الشديدة خلال فصل الصيف[5] ولازار هو قطعة قماش تلف على النصف السفلي للجسم .

أما النساء فقد ارتدين الخمار امتثالا لأوامره عز وجل(وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [6] فذلك قوله عز من قائل امتثلت له نساء المسلمين ، ولبسن كذلك الطرحة وهي قطعة من الحرير توضع على الرأس وتسدل من الخلف وطرحة النساء أطول قليلا من الرجال ، والنقاب عند بعض من النساء عادة ما يكون فرضا من رجلها عليها واحيانا كثيرة تكون طواعية منها فقط احتشاما وله قصة طريفة نوعا ما عن محمد بن عبد الرحمان بن عبيد الله بن الناصر الاموي قال فيه صاحب كتاب الذخيرة "عزم على الهروب. فخرج على وجهه وقد لبس ثياب الغانيات منتقباً بين امرأتين لم يميز منهما لمرانته على التخنيث. وخرج عن قرطبة فمات بأقليش"[7]، ومثلهم مثل الرجال كان لهم لباس يسمى الجباب وملابس أخرى تلبس داخل المنازل أمام الأزواج مثل القمصان وهي ألبسة شبه شفافة يقول

[1] أبو عمر، يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣ هـ)، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، دار الكتب العلمية – بيروت، ص60

[2] أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزي الحنفي الخوارزمي (٥٣٨ – ٦١٦ هـ)، المغرب في ترتيب المعرب، دار الكتاب العربي – بيروت، ص ص292/291

[3] ابن حيان، مصدر سابق، ص48

[4] رينهارت دوزي، المعجم المفصل، ترجمة أكرم فاضل، الدار العربية للموسوعات، ص182

[5] ابن الخطيب، مصدر سابق، ج1، ص36

[6] القرآن الكريم، سورة النور، الآية 31

[7] ابن بسام الشنتريني، مصدر سابق، ج1، ص437.

المقري "أن جارية مشت بين يدي المعتمد، وعليها قميص لا تكاد تفرق بينه وبين جسمها، وذوائبها تخفي آثار مشيها"[1]وربما نجد أكثر استعماله لدى الجواري بغية اثارة الرجال.

2/ الغذاء

من المعلوم أن الغذاء ركن أساسي في حياة الانسان اليومية فلا يمكن للإنسان الاستمرار دون تولية هذا الجانب اهتماما بالغا فعليه مراعاة الأطعمة الصحية وتجنب الضارة منها، وعلى العموم فالغذاء يتبع بصفة خاصة الطبيعة الجغرافية للبلاد وما يمكن أن ينبت فيها من زرع ونحو ذلك وكذلك تختلف باختلاف ميسورية الحال لدى الناس لهذا نجد تدرجا في نوعية الأكل من طبقة العامة صعودا الى الطبقة الحاكمة، لهذا أعود الى مقتطف كنت قد ذكرته مسبقا عن صاحب كتاب نفح الطيب يقول فيه "قام وجاء من بيت آخر في داره بصحفة فيها حساً من دقيق وكسور باردة، فجعل يفتّ فيها"[2] في تبيان واضح لمدى سوء الحال، ويذكر ابن خاقان شيئا عن هذا قائلا "قَعَدنا ليلة من ليالي شهر رمضان المعظّم مع أبينا للإفطار بداره البرّانية، فإذا بسائل يقول :يا أهل هذه الدار الصالح أهلها أطعمونا من عشاءكم أطعمكم الله تعالى من ثِمَار الجنة"[3] ، وبرع أهل الاندلس في صناعة الحلويات وقد ذكر بعضها في أبيات صغيرة "

أخذي كذا بركاب الضيف أنزله ... ألذ عندي من الأسفنج بالعسل

أو من رغائف كانون ملهوجة ... أو رائب بقري جيد العمل[4]

وهذه الأنواع من الحلويات والمأكولات لم تكن متاحة للجميع بطبيعة الحال، فأغلب مأكولات الفقراء كانت تأتي مما يستطيعون توفيره من صيد أو قوت يومهم وهكذا.

[1] المقري التلمساني، مصدر سابق، ج3، ص233

[2] نفسه، ج3، ص339

[3] أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي الإشبيلي (ت 529 هـ)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ط1، 1403هـ، تح محمد علي شوابكة، دار عمار – مؤسسة الرسالة، ص254

[4] ابن بسام، مصدر سابق، ج1، ص677

3/ وسائلهم الترفيهية:

الانسان كائن معقد جدا من ناحيته السلوكية والنفسية فهو مزيج من المشاعر المتضاربة بين الأضداد ولا يستثنى منها صغير أو كبير، فهو يحتاج الى اللهو والتنزيه من مشاغل الحياة اليومية التي تعصف به، لهذا نجد أن أهل الاندلس بطبيعتهم قد ابتكروا عدة وسائل وألعاب لخلق جو من الراحة النفسية.

أ/حملات الصيد:

أرض الاندلس بلاد خصبة من الناحية البيئية وهي زاخرة جدا بالحيوانات، ويبدو انهم قد اعتمدوا على الكلاب والفهود في الصيد وقد استعملوا سلالة السلوقي المنتشرة في اليمن لسرعتها ودهائها، كما أن الصيد بالفهود قد كان عادة هندية انتقلت للعرب ثم أخذت الى الاندلس مع العرب المهاجرين وهناك أيضا الصيد بالجوارح[1] وقد قيل فيهم أبيات شعر نصها:

مضى الأنس الا لوعة تستفزني الى الصيد الا انني دون شاهين

فمن به ضافى الجناح كأنه على دستبان الكف بعض السلاطين

إذا أخذت كفاه يوما فريسة فمن عقد سبعين الى عقد تسعين[2]

ففي الأخير الاندلس هي ملتقى ثقافات عدة وليس من الغريب أن نجد بها تجمعا لعادات وأمور تخص مناطق أخرى.

ب/الغناء والرقص والالعاب:

الغناء والرقص هما وسيلتين من وسائل التعبير على وجه الدقة جنبا الى جنب مع الشعر وغيره، فالغناء ملازم دائما إما للمديح أو الذم وربما التغزل، أما بخصوص الرقص فكان مميزا من منطقة لمنطقة ويتفاخر به بين الناس أحيانا ولعله انتشر أكثر بين الجواري فقد كانت أكثرهن اجادة له أغلاهن ثمنا وقد ذكرت ذلك سابقا، يقول صاحب كتاب نفح الطيب "ثم أطلعت علينا عجفاء كلفاء، عليها قرقل هروي أصفر غسيل، وكأن وركيها في خيط من رسحها، فقلت لأبي السائب :بأبي أنت! ما هذه فقال: اسكت، فتناولت عوداً فغنت:

[1] عبد العزيز سالم، صور من المجتمع الاندلسي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مج 19، 1976. 1978، ص74/73/72

[2] أبو نصر الفتح بن خاقان، قلائد العقيان في محاسن الرؤساء والقضاة والكتاب والأدباء والأعيان، المطبعة الأميرية – بولاق، 1284هـ، ص153

بيد الذي شغف الفؤاد بكم ... تفريج ما ألقى من الهمّ

فاستيقني أن قد كلفت بكم ... ثم افعلي ما شئت عن علم

قد كان صرم في الممات لنا ... فعجلت قبل الموت بالصرم[1]

وخلال تلك الفترة ظهر من الفقهاء من أحل الغناء من أمثال أبو بكر ابن عربي [2] بقوله " وَأَمَّا الْغِنَاءُ فَإِنَّهُ مِنْ اللَّهْوِ الْمُهَيِّجِ لِلْقُلُوبِ عِنْدَ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ، مِنْهُمْ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِهِ" ، ونذكر أيضا قاضي قرطبة محمد بن أبي عيسى قال فيه الحميدي " وأخبرني أبو محمد علي بن أحمد، قال :أخبرني القاضي أبو الوليد يونس بن عبد الله عن أبيه، أنه شاهد قاضي الجماعة محمد بن أبي عيسى في دار رجل من بنى حدير مع أخيه أبي عيسى في ناحية مقابر قريش وقد خرجوا لحضور جنازة، وجارية للحديري تغنيهم هذه الأبيات:

طابت بطيب لثاتك الأقداح ... وزهت بحمرة خدك التفاح

وإذا الربيع تنسمت أرواحه ... طابت بطيب نسيمك الأرواح

وإذا الحنادس ألبست ظلماءها ... فضياء وجهك في الدجى المصباح[3]

واختلف الناس وقتها في كونهما حلال أم حرام غير أن الغالب على الناس أيامها حرمتها.

---

[1] المقري التلمساني، مصدر سابق، ج3، ص141

[2] ابْن الْعَرَبِيّ الْعَلامَة الْحَافِظ الْقَاضِي أَبُو بكر مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد الإشبيلي ولد سنة ثَمَان وَسِتِّينَ وَأَرْبَعمِائَة ومَاتَ بفاس فِي ربيع الآخر سنة ثَلَاث وَأَرْبَعين وَخَمْسمِائَة: ينظر عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، طبقات الحفاظ، ط1، 1403هـ، دار الكتب العلمية – بيروت، ص469/468

[3] الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت ٤٨٨ هـ)، جذوة المقتبس في ذكر وُلاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر – القاهرة، 1966م، ص75

أما الألعاب فلعل من شاهر الألعاب وقتها كان النرد شير والشطرنج وقد تضاربت كذلك الفتاوى فيها لما فيها من مضيعة وقت الناس ولهويتهم عن الدين بين مكروهة وغير ذلك فيقول الشيرازي " ويكره اللعب بالشطرنج لأنه لعب لا ينتفع به في أمر الدين ولا حاجة تدعوا إليه فكان تركه أولى ولا يحرم لأنه روي اللعب به عن ابن عباس وابن الزبير وأبي هريرة وسعيد بن المسيب رضي الله عنهم وروي عن سعيد بن جبير أنه كان يلعب به استدباراً ومن لعب به من غير عوض ولم يترك فرضاً ولا مروءة لم ترد شهادته"[1] وهذا قول المالكية كذلك وبالعودة لابي بكر ابن عربي فقد جاء بما يعاكس هذا " إنَّ اللَّهَ أَبَاحَ وَحَرَّمَ، فَالْحَرَامُ ضَلَالٌ، وَالْمُبَاحُ هُدًى؛ فَإِنْ كَانَ الْمُبَاحُ حَقًّا كَمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ فَالشِّطْرَنْجُ مِنْ الْمُبَاحِ، فَلَا يَكُونُ مِنْ الضَّلَالِ؛ لِأَنَّ مَنْ اسْتَبَاحَ مَا أَبَاحَ اللَّهُ لَا يُقَالُ لَهُ ضَالٌّ، وَإِنْ كَانَ الشِّطْرَنْجُ خَارِجًا مِنْ الْمُبَاحِ فَيَفْتَقِرُ إلَى دَلِيلٍ"[2]، ويجدر الذكر أن بداية هذه الألعاب كانت داخل القصور وبالأخص الشطرنج اذ هي لعبة استراتيجية استعملت حتى في بعض المرات لخلق خطط عسكرية وانتقلت خارج القصور لاحقا وصارت مشهورة بين الناس يقول ابن بسام "

والدهر في صبغة الحرباء منغمس ألوان حالاته فيه استحالات

ونحن من لعب الشطرنج في يده وربما قمرت بالبيدق الشاة"[3]

وعليه من هذه الأبيات نستخلص أن الناس قد رأت من بالغ الحكمة في هذه اللعبة وكثير تعقيدها ما شبهه الكاتب بالقدر وكيف يفعل بالناس في تسيير أمورهم بطرق غير متوقعة يعلمها الخالق عز وجل.

[1] أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت 476 ه)، المهذب في فقه الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية، ص438

[2] ابن عربي، مصدر سابق، ج3، ص10

[3] ابن بسام، مصدر سابق، ج6، ص696.

الفصـل الثالث

مظاهر الحياة الاجتمـــــاعية

أولا الأعياد والمناسبات

ثانيا العادات والتقاليد

ثالثا السكن والعمارة

رابعا العلاقات الاجتماعية بين السكان

أولا الأعياد والمناسبات:

إن الأعياد والمناسبات بالنسبة لأهل الاندلس ليس مجرد أحداث عابرة متكررة بل كانت لها أبعاد روحية عميقة مرتبطة بأصول دينية وأخرى مرتبطة بجذور عرقية ونحو ذلك ونعود دوما لقول سيد الأنبياء عليه الصلاة والسلام (للصائم فرحتان يفرحهما اذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصوم)[1]، ومما يثير الاعجاب أن الاندلس كما أشرت سابقا ملتقى ثقافات وأعراق وأديان، لهذا سنجد غنى كبير في هذه المسألة.

1/ أعياد المسلمين:

- عيد الفطر:

عيد الفطر هو اليوم الذي يعلن فيه المسلمون كمال شهر رمضان الكريم ويحتفل المسلمون لإتمامهم هذا الشهر العظيم وذلك سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال فيه أبو بكر محمد بن العوام الاشبيلي أبياتا من شعر:

إذا لاح الهلال فقم إليه بإهلال لتوديع الصيام

ولا تسمح بقدر اللحظ إلا تلاقى وفد أكواس المدام

وقل إن قيل حي على حلال صباح الفطر حي علي حرام[2]

وقد كان للمسلمين في الاندلس عادة تسبق هذا العيد وذلك في قول الطرطوشي"من البدع اجتماع الناس بأرض الأندلس على ابتياع الحلوى ليلة سبع وعشرين من رمضان "[3]وذلك على الأغلب تحضيرا لزيارات الأقارب لهم ونحو ذلك ، ثم في يوم العيد يتزين الجميع بأحسن الألبسة ، ثم تصطحب النساء أطفالهن وينصبن الخيام بالقرب من المصلى للمشاهدة في قوله "كذلك يفعلون في أيام العيد، ويخرجون للمصلى، ويقمن فيه الخيم للتفرج لا للصلاة" [4]، ويهنئون بعضهم البعض

[1] مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تح نظر بن محمد الفاريابي، دار طيبة، ط1، 1427هـ، باب فضل الصيام، ج2، ص807

[2] ابن سعيد أبي الحسن بن موسى، اختصار القدح المعلي في التاريخ المحلي، تح إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري. القاهرة، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1400هـ، ص179

[3] محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشى الفهرى الأندلسي، أبو بكر الطرطوشى المالكي (ت 520 هـ)، الحوادث والبدع، تح علي بن حسن الحلبي، ط3، 1419هـ، دار ابن الجوزي، ص150

[4] نفسه، ص151

ففي الأخير هي فرصة لفظ العداوات السالفة [1]، وينتهي اليوم بالفرحة والابتهاج الشديدين ، ولاحقا يحيي أهل الاندلس سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيام ستة أيام بعد العيد [2].

-عيد الأضحى:

يوم عظيم مرتبط بقصة نبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، وهو من الأيام المقدسة عند المسلمين، يأتي يوم العاشر من ذي الحجة، ومثله مثل عيد الفطر فقد كان يوم بهجة وسرور بالنسبة لأهل الاندلس ، ومن المعروف أنه باقتراب هذا العيد يكون شراء الأضحية شغل الناس الشاغل حتى تكون محور كلامهم فنجدها حتى في تبادل الدعابات بينهم يقول صاحب كتاب نفح الطيب "وحكي عن الزهري خطيب إشبيلية – وكان أعرج – أنه خرج مع ولده إلى وادي إشبيلية، فصادف جماعة في مركب ، وكان ذلك بقرب الأضحى، فقال بعضهم له :بكم هذا الخروف وأشار إلى ولده، فقال له الزهري :ما هو للبيع، فقال :بكم هذا التيس وأشار إلى الشيخ الزهري، فرفع رجله العرجاء وقال :هو معيب لا يجزئ في الضحية، فضحك كل من حضر، وعجبوا من لطف خلقه"[3] فهاهنا نرى تأثير هذا العيد العظيم .

يذكر الطرطوشي على سبيل إعادة الأصل "ورجع الناس ينافسون في الضحية؛ للافتخار لا للسنة، ولا لطلب الأجر، بل لإقامة الدنيا"[4] ويوضح لنا أن الناس ابتعدت عن الغاية الأسمى لهذا اليوم بل وأصبحت أشبه بالمسابقة على أغلى أضحية وأجملها كي يتفاخر الناس فقط ولعله انعكس على الواقع المعيشي للناس ، فتجد أحدهم يضطر لبذل الغالي والنفيس بغية شراء الأضحية ،أما في ميعاد ذبحها فقد حدد بيومين ولا يجوز ذلك قبل الإمام لقول ابن عبد البر "كذلك عند مالك إن ذبح بعد الصلاة قبل الإمام لم يجزه أيضا إلا أن يكون الإمام لم يذبح فيجزئه إن تحرى مقدرا ذبح الإمام ثم يذبح وإذا انصرفوا من المصلى جاز الذبح فيما قرب وبعد وأهل البوادي يتحرون أقرب القرى والمدن إليهم فيذبحون بعد ذبح الإمام"[5].

وفي خلاصة الحديث فهو يوم توزع فيه الصدقات من اللحوم ويأكل فيه الفقير والغني وذلك من مقاصد الإسلام الجميلة، ولهم مناسبات أخرى مثل عاشوراء وغيرها وعموما فأعياد المسلمين الأساسية هي عيد الفطر والأضحى.

[1] ابن زيدون، ديوان ابن زيدون، دار المعرفة . بيروت، ط1، 1426هـ، ص479

[2] الطرطوشي، مصدر سابق، ص48

[3] المقري التلمساني، مصدر سابق، ج3، ص383

[4] الطرطوشي، مصدر سابق، ص152

[5] أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ)، الكافي في فقه أهل المدينة، ط2، تح محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، 1400هـ، ج1، ص423

2/ أعياد النصارى واليهود:

أ/ النصارى:

وأعيادهم كثيرة وقيل سبعة وهي:

ـ عيد البشارة: ويعتقد فيه النصارى أن روح القدس أي جبريل بشر مريم بالمسيح عيسى عليهما السلام، وتاريخه في25 من شهر مارس آذار.

ـ عيد رأس السنة الميلادية: وهو سابع أيام ميلاد عيسى عليه السلام وفيه مزاعم كثيرة منها أن النبي يحي قد غسه في بحيرة بالأردن ويسميه أهل الاندلس النيروز " وكان النيروز أول أعيادهم، ولهم أعياد أخر كثيرة، وكانوا يجعلون شهر النيروز كله عيدًا كل خمسة أيام منه لقوم؛ فالخمسة الأولى للملك، والثانية للأشراف، والثالثة لخدم الملك، والرابعة للمغنين، والخامسة للعامة، والسادسة لرعاة الغنم"[1]، وكانت النصارى تبذل من المال والعطايا في هذا اليوم الشيء الكثير.

ـ عيد ميلاد المسيح: وموعده كان في اليوم الخامس والعشرين من الشهر الأخير وتبقى الاحتفالات به ثمانية أيام متواصلة.

ـ عيد الفصح: يقول ابن تيمية "وَيَوْمُ الْأَحَدِ يُسَمُّونَهُ عِيدَ الْفِصْحِ وَعِيدَ النُّورِ وَالْعِيدَ الْكَبِيرِ. وَلَمَّا كَانَ عِيدًا صَارُوا يَصْنَعُونَ لِأَوْلَادِهِمْ فِيهِ الْبَيْضَ الْمَصْبُوغَ وَنَحْوَهُ لِأَنَّهُمْ فِيهِ يَأْكُلُونَ مَا يَخْرُجُ مِنْ الْحَيَوَانِ مِنْ لَحْمٍ وَلَبَنٍ وَبَيْضٍ" [2].

ـ عيد الصعود: يوم صعود السَّيِّد المسيح عليه الى السماء [3] ويأتي بعد عيد الفصح باثنتين وأربعين يوما .

ـ عيد العنصرة: ويرتبط هذا العيد بدير المحرق " تزعم النصارى أنّ المسيح أقام في موضعه ستة أشهر وأيّاما. وله عيد عظيم يعرف بعيد الزّيتونة عيد العنصرة يجتمع فيه عالم كثير "[4]

عيد الشعانين: ويسمى عيد الزيتونة " ويعرف عندهم بعيد الشّعانين، ومعناه التّسبيح، ويكون في سابع أحد من صومهم وسنّتهم في عيد الشّعانين أن يخرجوا بسعف النّخل من الكنيسة، ويرون أنّه يوم ركوب المسيح اليعفور وهو الحمار في القدس

[1] نجم الدين الغزي، محمد بن محمد العامري القرشي الغزي الدمشقي الشافعي (977هـ)، حسن التنبه لما ورد في التشبه، ط1، تح لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، 1423هـ، دار النوادر، سوريا، ج8، ص418

[2] أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، ط1، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة – السعودية، 1425هـ، ج25، ص322

[3] أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت 1424 هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 1429هـ، ج2، ص1295

[4] تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (766 – 845 هـ)، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ط1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي – لندن، 1422هـ، ج4، ص1041

ودخوله إلى صهيون وهو راكب، والناس بين يديه يسبّحون، وهو يأمر بالمعروف، ويحث على عمل الخير، وينهى عن المنكر ويباعد عنه"[1].

ب/اليهود:

وهي كثيرة:

عيد رأس السنة: يسمى هيشا وهو الفاتح من أكتوبر ولعل معناه يقارب عيد الأضحى لدى المسلمين.

ـ عيد صوماريا: أو الكيبور وهو عندهم يوم الغفران

ـ عيد المظلل: أو الظلل أو المظال يوم 15 تشرين يستظلون فيه بأغصان الشجر ويسمونه أيضاً: عيد صوم مريم العذراء.

ـ عيد الفطير: وهو عيد الفصح يوم 15 نيسان وهو بمناسبة ذكرى هروب بني إسرائيل من الاستعباد في مصر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وقصة هذا العيد مروية في الإصحاح الثاني عشر من التوراة – سِفْر الخروج – ومدته ثمانية أيام يحتفلون به في فلسطين المحتلة، واليهود الإصلاحيون يحتفلون به في أقطارهم لمدة سبعة أيام، ولهم فيه احتفال يسمى (السيدار) وفه تُقرأ قصة هروب بني إسرائيل من كتاب اسمها لحقادا ويأكلون فيه خبزاً غير مخمر، على اعتبار أن بني إسرائيل لما هربوا أكلوه؛ إذ لم يكن عندهم وقت لتخميره، ولا يزال اليهود يأكلونه إلى اليوم في هذا العيد.

ـ عيد الأسابيع: أو العنصرة أو الخطاب (ويزعمون أنه اليوم الذي كلم الله – تعالى – فيه موسى – عليه الصلاة والسلام).

ـ يوم التكفير: في الشهر العاشر من السنة اليهودية :ينقطع الشخص تسعة أيام يتعبد فيها ويصوم وتسمى أيام التوبة.

ـ الهلال الجديد :كانوا يحتفلون لميلاد كل هلال جديد حيث كانت تنفخ الأبواق في بيت المقدس وتشعل النيران ابتهاجاً به.

ـ عيد اليوبيل: وهو المنصوص عليه في سِفْر اللاويين.[2]

عموما فإن الأندلس زخرت كثيرا بالمناسبات كما ذكرت سابقا نظرا للتنوع الثقافي الواسع وهو أمر يشاد به، ونذكر أيضا أن المسلمين قد امتنعوا من الاحتفال بمناسبات النصارى واليهود ذلك لتغلب المالكية وتحريم هذا قطعيا.

[1] المقريزي، المصدر نفسه، ج1، ص715

[2] الشيخ محمد صالح المنجد، القسم العربي من موقع (الإسلام، سؤال وجواب)، تم نسخه من الإنترنت: في 26 ذي القعدة 1430 هـ ، 15 نوفمبر، 2009 م، ج13، ص243

ثانيا العادات والتقاليد:

إن العادات والتقاليد تغطي مساحات شاسعة من الحياة اليومية في حياة الانسان فهي تنطلق من عادات فردية الى أخرى جماعية شاملة ولا يمكن حصرها في مجال معين، فيمكننا إسقاطها على الغذاء مثلا الذي قد تدخل أصناف منه ضمن هذا المجال وكذلك الألبسة والأعياد وغيرها، وبما أنني سبق وتحدثت عن هذا فيما سبق من العناوين السالفة ارتأيت أن أستكمل أتجنب التكرار وأحصر العنوان في بعض الأمور الجديدة فقط.

1/أساليب العلاج: إن الطب هو مجال واسع جدا وقابل للإبداع فيه، ففي كل فترة زمنية ستجد من يشع بريقه ويظهر كقديس بين الناس، ناهيك عن كونه مهنة نبيلة يقول الامام الشافعي رحمه الله "إِنَّمَا الْعِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمُ الدِّينِ، وَعِلْمُ الدُّنْيَا، فَالْعِلْمُ الَّذِي لِلدِّينِ هُوَ :الْفِقْهُ، وَالْعِلْمُ الَّذِي لِلدُّنْيَا هُوَ :الطِّبُّ"[1]، وعلى شقيه الحديث القائم على التجارب والعلم الحديث والآخر المتوارث عبر الأجيال والذي تم دمجه بالخرافات فكلاهما يعتبر إرثا وله من المصداقية والتقدير ما له.

نبدأ بالطب الشعبي فقد كان شغل العطارين وخصوصا بقرطبة ويذكر السقطي أن العطارين تميزوا بالغش في السلع فيغشون الحناء بقشور الرمان وسقوطه مع ورق الخبازي وبأوراق السدر بأوراق القنب والزعفران بشعر العصفر ونضيج لحم صدر الدجاج وبالزيت ودقيق الدرمك المدبر والكركم وأصول الشجرة المعروفة بالمليلس وبرجل الحمامة والأرغيس والزعفران الرومي وسحيقه والسكر وبمطبوخ البقم ودقيق الدرمك المصبوغ بماء الزعفران وسحيق السكر ويكثرونه باسحج الحلفاء المنقوعة في الريحان العتيق المذاب فيه الفلفل والكركم والزعفران ويفرش بعد ذلك للظل [2]فيتوضح لنا أنه بهذا الأمر يزداد مرض الناس أكثر .

ويذكر الدكتور بوتشيش أن الناس التجأت لنوع من الطب يدعى الطب الروحاني ويقصد به إيمان الناس ببعض الكرامات لأولياء الله الصالحين وأن الشفاء على أيديهم شيء ممكن الحدوث وهذا الأمر منتشر بشكل خاص عند البسطاء من الناس[3]

فضلا عن العلاج الروحاني كما كان يشاع أو الرقية التي انتشرت كنوع من بيع الأوهام للناس بربط كل مشاكل الحياة بالسحر والعين والشعوذة، فمعظم الحارات مليئة بالباعة المتجولين الذين يبيعون خلطات وامور تتعلق بالكهانة مثل الخرز وغير ذلك [4].

[1] أبو محمد، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت 327 هـ)، آداب الشافعي ومناقبه، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1424هـ،

[2] السقطي، مصدر سابق، ص41

[3] إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والاندلس في عصر المرابطين، ط1، دار الطليعة للنشر . بيروت، 1993م، ص104

[4] عصمت عبد اللطيف دندش، الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ط1، دار الغرب الإسلامي . بيروت، 1988م، ص340

وقد آمن الكثير أن للنباتات إذ أن العمل السحري هو عمل معقد يستدعي استحضار الشياطين، والقيام بأعمال قذرة تستقبحها النفس البشرية لما فيها من أذية للآخرين والخروج عن الشريعة الإسلامية، يُستعمل فيه كل ما هو قذر ووضيع تعافه النفس وتنفر منه فقد تطرقت إحدى الدراسات إلى ذكر عينات من الأدوات والمكونات المستعملة في الطقوس السحرية والمتمثلة في مجموعة من العناصر المعدنية والنباتية والحيوانية وأحيانا تكون ذات أصل بشري يستعملها الساحر، ومن بينها تذكر السلحفاة وبيض الحرباء وجلد السحلية وعين الهدد ومخ الضبع وعين السنونو طائر الخطاف وقرون الشاة أو الماعز والحنظل، وعظم الكاحل والزئبق والحديد والملح والشب ودم إنسان أصيب في جحادث معين، والأظافر والشعر والجلد الميت، وبول الشخص المراد سحره، ومجموعة من الأعشاب المتنوعة. والفواكه كالتفاح والبرتقال والليمون[1]

ولا نستثني غير المسلمين من ذلك بالنظر للنصارى واليهود فحالهم أسوء بكثير لما آمنوا به من خرافات تعلقت بعاداتهم القديمة.

أما الطب المستند على العلم والبحث فقد كان على النقيض تماما، فهناك علم كبير لم يسعني سوى ذكره من باب الاعجاب به وهو الزهراوي، كان للزهراوي –رحمه الله– إلمام كبير بعلم الجراحة الطبية لم يقف عند معرفته لما سبقه إليه غيره من علماء الطب وحُذَّاقه، بل تعدى ذلك كله إلى درجة الاكتشاف وعمل المهام الجراحية التي لم يسبق إلى عملها من قبل، ثم وصفه لها وصفًا دقيقًا في مؤلفه وابتكر بعض الآلات الجراحية ورسمها وبين كيفية استعمالها، وتطبيق المعلومات الجراحية بواسطتها، وهذا أسلوب لم يسبقه إليه أحد غيره ممن كتب في العلوم الطبية ناهيكم عن أنه أول من قام بعملية إيقاف النزف وما الى ذلك من إنجازات رحمه الله رحمة واسعة [2].

2/ الجنائز وشعائر الدفن:

من المعروف أن عادة المسلمين في دفن موتاهم تبدأ بالتغسيل الى التكفين نهاية بالصلاة على الميت ثم السير في جنازته ودفنه ، غير أن اهل الأندلس أضافوا شيئا جديدا وهو التهليل خلال السير في جنائز موتاهم وذلك اتضح لنا من خلال كتب النوازل مثل كتاب الونشريسي [3] بخلاف النصارى الذين دفنوا موتاهم في توابيت فقد كان فعلا محرما عند المسلمين [4]

[1] Saadia Radi, Sumaturel et société (L'explication magique de la maladie et du malheur à Khénifra), centre jacques Berque, Rabat 2013.p06

[2] محمد بن محمد المختار الشنقيطي، أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، ط2، مكتبة الصحابة، جدة، 1415هـ، ص57/56

[3] كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، د، ط ـ الإسكندرية، 1997، ص41

[4] الطرطوشي، مصدر سابق، ص154

وقدموا أيضا بعادة أخرى وهي نقش أبيات من شعر على شواهد قبور الموتى يقول ابن عذاري " في روايته عن المنصور ابن أبي عامر بعد وفاته:

آثارُهُ تُنْبِيكَ عَنْ أخْبَارِهِ ... حَتَّى كأنَّكَ بالعُيُونِ تَرَاهُ

تَاللهِ ما مَلَكَ الجَزِيرَةَ مِثْلُهُ ... حَقًّا وَلاَ قَادَ الجُيُوشَ سِوَاهُ

وذُكِرَ أنَّ هذين البيتين قد نقشا في رخامة على قبره – رحمه الله –. وكانت عدَّة غزواته سبعا وخمسين غزوة، باشرها كلها بنفسه، وهو في أكثرها يشكو على النقرس – عفا الله تعالى عنا وعنه[1].

ثالثا السكن والعمارة:

إن أول ما يخطر على البال حين ذكر الأندلس هو اللمسة العمرانية البديعة وجمال حواضرها وطيبة عيشها، وللكلام عن العمران فيها يجب تقسيمها الى أقسام أولا كي نستطيع التفصيل فيها بدقة.

1/ العمارة الدينية:

نبدأ بالاهم فيها وهي المساجد، شكل المسجد النواة الأساسية والركيزة الأولى في تخطيط المدن الإسلامية منذ الهجرة النبوية، وهو النهج الذي سار عليه الفاتحون عبر تشييد المساجد فور فتح البلاد أو تأسيس الحواضر. وفي الأندلس، تجسد هذا الاهتمام بنشر الإسلام من خلال تحويل معظم الكنائس في المدن المفتوحة إلى مساجد، إلى جانب بناء منشآت جديدة رفعت راية الدين، حتى غدت قرطبة شاهداً بارزاً على هذا التوسع العمراني والديني بعدد مساجد موثق ومحصى بلغ 491 مسجداً[2].

[1] ابن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص301

[2] الحميري، مصدر سابق، ص458

مسجد قرطبة: يُعدّ "المسجد الجامع" في قرطبة شاهداً استثنائياً على ذروة التطور المعماري والفني في الأندلس ويذكر أن بنائه استمر سنة كاملة [1]؛ حيث وضع حجر أساسه الأمير عبد الرحمن الداخل عام 169هـ بعد هدم الكنيسة المجاورة، واستمرت التوسعات والزيادات فيه عبر خلفاء بني أمية من بعده. يتفرد الجامع بفخامة مكوّناته التي تبرز في أعمدته الرخامية، وبابه، ومحرابه المزين بالذهب والفسيفساء، بالإضافة إلى الثريات الفضية الخالصة. كما تميزت صومعته الشاهقة (73 ذراعاً) بقبة علوية مفتوحة للمؤذن، تتوّجها تفاتيح غاية في الإتقان الهندسي من الذهب الإبريز والفضة، تعلوها سوسنات وزخارف ذهبية دقيقة جُعلت منها إحدى غرائب الأرض في زمانها[2].

مسجد الزهراء: يمثل "المسجد الجامع" بقرطبة نموذجاً حياً لِما بلغته الفنون المعمارية والزخرفية في الأندلس من نضج وتطور. وتعود الجذور التاريخية لهذا المعلم إلى عام 169هـ، حين وضع الأمير عبد الرحمن الداخل لِبنته الأولى إثر إزالة الكنيسة الملاصقة للموقع، ليتتابع على هندسته وتوسيع رقعته خلفاء بني أمية بعد إتمام المرحلة الأولى في عهد ابنه هشام، وهو ما يعكس استمرارية العناية الرسمية بهذا الرمز الحَضَري.

ومن الناحية الإنشائية والجمالية، اكتسب الجامع فرادته من دقة تفاصيله وفخامة مواده،إذ قام بناؤه على أعمدة من الرخام، وزُينت مقصورته وجدار محرابه بالفسيفساء المغشاة بالذهب، فضلاً عن ثرياته المصنوعة من الفضة الخالصة.

كما شكلت الصومعة علامة فارقة في هندسة المسجد بارتفاعها الذي شارف ثلاثة وسبعين ذراعاً، منتهية بقبة دائرية مخصصة للأذان، تُوجت بابتكار هندسي دقيق يجمع بين تفاتيح وسوسنات من الذهب الإبريز والفضة، مما جعل الصرح بأكمله واحداً من أندر الإبداعات العمرانية في التاريخ الإسلامي[3].

الكنائس والأديرة:

دير أرملاط[4]: من أشهر الأديرة التي كانت تقع في ضواحي قرطبة، وكان مركزاً رئيساً للرهبان ولعب دوراً بارزاً في الأحداث الاجتماعية والدينية.

[1] ابن عذاري المراكشي، مصدر سابق، ص229

[2] المقري التلمساني، مصدر سابق، ص548

[3] المقري التلمساني، مصدر سابق، ص264

[4] سالم بن عبد الله الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1424هـ، ج1، ص76.

2 العمارة المدنية:

- القصور:

ـ القصر الخلافي: اشتهر قصر الزهراء بجماله وروعة إبداعه، إذ أبدع خلفاء بني مروان في تشييده وتزيينه منذ استقرارهم بالأندلس. فأنشأوا فيه الحدائق الغنّاء والآثار البديعة، وجلبوا إليه المياه العذبة من جبال قرطبة عبر مسافات بعيدة، ثم وزعوها في ساحاته وأرجائه بواسطة قنوات من الرصاص. وكانت المياه تمر عبر تماثيل وصور مختلفة الأشكال مصنوعة من الذهب الخالص والفضة والنحاس المموه، لتصب في البحيرات والبرك والصهاريج المزينة بأحواض من الرخام الرومي المنقوش. كما ضم القصر قبابًا شاهقة لم يُرَ مثلها في المشرق أو المغرب[1]. واحتوى على مجلسين رئيسيين: أولهما «المؤنس» أو «بيت المنام الخلافي»، يتوسطه حوض من الرخام الأخضر منقوش بصور آدمية مذهبة، تعلوه اثنا عشر تمثالًا من الذهب الأحمر المرصع بالدر النفيس. أما الثاني فكان مجلسًا بديعًا تتوسطه «اليتيمة»، وهي إحدى تحف قيصر القسطنطينية التي أهداها للخليفة الناصر.[2]

ـ قصر الرصافة: كان ممّا ابتناه عبد الرحمن بن معاوية في أول أيّامه لنزهه وسكناه أكثر أوقاته: منية الرّصافة التي اتخذها بشمال قرطبة منحرفة إلى الغرب، فاتخذ بها قصراً حسناً، ودحا جناناً واسعة، ونقل إليها غرائب الغروس وأكارم الشجر من كل ناحية، وأودعها ما كان استجلبه يزيد وسفرٌ رسولاه إلى الشأم من النوى المختار والحبوب الغريبة، حتى نمت بيمن الجدّ وحسن التربية في المدة القريبة أشجاراً معتمّة أثمرت بغرائب من الفواكه انتشرت عمّا قليل بأرض الأندلس، فاعترف بفضلها على أنواعها .قال :وسمّاها باسم رصافة جدّه هشام بأرض الشأم الأثيرة لديه، وامتثله في اختيار رصافته هذه [3]، ولعل تسميته لهذا القصر كان تيمنا بموطنه السابق دمشق .

- القناطر:

يقول صاحب كتاب المغرب في ذكر المنصور وما قام ببنائه " بنيان قنطرة على نهر قرطبة الأعظم. ابتدأ المنصور بنيانها سنة ٣٨٧، وفرغ منها في النصف من سنة ٨٩؛ وانتهت النفقة عليها إلى مائة ألف دينار وأربعين ألف دينار؛ فعظمت بها المنفعة" [4]، وكذلك يذكر من فضائله قنطرة على نهر إستجة، وهو نهر شنيل؛ فتجشم لها أعظم مؤنة. وسهل الطرق الوعرة والشعاب الصعبة.

[1] نفسه، ص464

[2] ابن عذاري، مصدر سابق، ص232/231

[3] المقري التلسماني، نفسه، ص476/466

[4] ابن عذاري، نفسه، ج2، ص288

-المنازل الاندلسية:

نشأت العمارة الإسلامية نتيجة التفاعل المباشر بين الثقافة الإسلامية الوليدة والثقافات البيزنطية والرومانية والفارسية وثقافات حوض البحر المتوسط، مما أدى إلى ظهور خصائص معمارية مميزة، تجلت بصورة أوضح في المغرب والأندلس. وقد تأثرت المساكن بالبيئة والمناخ؛ فإلى جانب المنازل ذات الأفنية الداخلية، وُجدت مساكن بلا أفنية في المناطق الجبلية الباردة والممطرة، مثل (منازل الأبراج في اليمن) وبعض مناطق المغرب الإسلامي، كما استُبدلت الأفنية المفتوحة في المناطق الصحراوية بمساحات مركزية مغطاة ذات فتحات علوية صغيرة، كما في غدامس ومزاب، للحماية من العواصف الرملية والتفاوت الحراري. كما ورث المسلمون من البيزنطيين والرومان نمط المنازل ذات الساحات المحاطة بالأروقة، في حين حافظت العمارة الريفية على استقرارها وتكيفها مع البيئة عبر القرون. ومع انتشار الحضارة الإسلامية نحو المغرب والأندلس، ساهم الحفاظ على اللغة العربية والدين الإسلامي في استمرار انتقال الأنماط العمرانية والتنظيم المعماري الإسلامي.

أفنية المنازل: يُعدّ الفناء العنصر الأساسي في المنزل الإسلامي، إذ يتوافق مع المناخ السائد في المناطق التي انتشر فيها الإسلام، كما يحقق متطلبات الخصوصية الدينية والاجتماعية ويستوعب الأسرة الممتدة. وقد شكّل محور الحياة الأسرية في الأندلس، حيث وفر الإضاءة والتهوية لغرف المنزل، وساهم في تقليل النوافذ الخارجية وخلق جو معتدل بفضل المياه والعناصر الطبيعية الموجودة فيه، كما وفر الحماية من الرياح الباردة شتاءً. وتعددت وظائفه فاستُخدم للاجتماع وتناول الطعام والنوم والعمل، مما استلزم أثاثًا بسيطًا وسهل الحركة. أما في المنازل الريفية فكان الفناء غالبًا جانبيًا حفاظًا على الخصوصية، مع اعتماد مداخل منكسرة بزاوية تمنع الرؤية المباشرة إلى الداخل، كما روعي في تصميم الأبواب ألا تكون مقابلة مباشرة لأبواب الجيران.[1]

وطبع على منازل أهل الاندلس طابع البساطة فهناك بعض المنازل التي لم تتوفر حتى على نظام صرف، وتميزت بوجود أفنية كبيرة نسبيا، في أحد المواقع الأثرية الواقعة بالضواحي الغربية لمدينة قرطبة والعائد إلى عصر الخلافة الأموية، ظهرت بوضوح تأثيرات مدينة الزهراء في تخطيط المساكن، حيث اتسمت المنازل بكونها ذات طابق واحد رغم قدرة جدرانها على تحمل طوابق إضافية. كما تميزت بتنظيم داخلي قائم على أفنية مستطيلة أو شبه منحرفة تتوسطها مساحات ذات طابع جمالي، تحيط بها منصات من الحجر الجيري. وقد احتوت بعض المساكن المتواضعة على أرصفة من حجر الكلس، بينما

[1] سليم حاج سعد، تطور المنزل الأندلسي حتى نهاية عصر الموحدين، جامعة الشهيد حمة لخضر ـ الوادي ـ الجزائر، مجلة عصور الجديدة، المجل د10، ال عدد04، بتاريخ ديسمبر 1442هـ، ص101/100.

ضمت منازل أخرى أروقة متعددة وبركًا مائية أمامها، إضافة إلى ممرات دخول رُصفت ببلاط الطين المشوي أو بلاط السيراميك، مما يعكس مستوى من العناية بالتخطيط والزخرفة المعمارية[1].

رابعا العلاقات الاجتماعية بين السكان:

كانت العلاقات بين السكان مبنية على أسس معقدة يطغى عليها الطابع الديني وتقيدها القوانين المنصوص عليها من الدولة فلذلك لا توجد تلك التجاوزات الكبيرة سوى من حالات شاذة تحدث بين الفينة والأخرى، فالإسلام يرفع من شأن الإنسان ويقرّ لأهل الذمة بحقوقهم استنادًا إلى نصوص القرآن الكريم، مما جعل التسامح سمة بارزة في المجتمع الإسلامي[2].
ومع مرور الوقت ازداد التقارب والتداخل بين المسلمين وغيرهم، حتى تلاشت كثير من الفوارق الاجتماعية والثقافية، وبلغ هذا التمازج درجة كبيرة من خلال السكن المشترك، والمصاهرة، والمشاركة في الأعياد وغيرها من مظاهر الحياة اليومية في الأندلس.

ومع ذلك، فإن كتب الحسبة التي شددت على ضرورة ضبط العلاقات بين المسلمين وأهل الذمة كانت في الغالب تعكس النموذج المثالي لما ينبغي أن يكون عليه المجتمع، أكثر مما تعكس الواقع الفعلي الذي اتسم بقدر كبير من الاختلاط والتعايش.

لم يكن أهل الذمة معزولين في أحياء خاصة، بل عاشوا إلى جانب المسلمين في نفس المدن والأحياء، وإن تركز وجودهم في بعض الحواضر مثل طليطلة وغرناطة. وتظهر كتب النوازل والحسبة العديد من القضايا المرتبطة بعلاقات الجوار، مما يعكس هذا التعايش اليومي.
كما أقرّ الإسلام زواج المسلم من الكتابية، استنادًا إلى نصوص قرآنية واضحة في قوله عز من قائل (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[3] ، وهو ما ساهم في انتشار هذا النوع من الزيجات عبر مختلف الفئات الاجتماعية والعصور في الأندلس، فنتج عنه تداخل عرقي وثقافي واسع. وقد اتسم المجتمع الأندلسي بطابع الاختلاط والتفاعل، حيث ساهمت البساطة الاجتماعية وروح الانفتاح في تعزيز المصاهرة والتعايش[4].
ومع مرور الوقت، تأثر أهل الذمة بالثقافة العربية الإسلامية في اللغة واللباس والعادات، فتعرب الكثير منهم وتبنّوا أنماط

[1] سليم حاج سعد، المرجع نفسه، ص106/105

[2] فهمي هويدي، مواطنون لا ذميون، دار الشروق، ط3، القاهرة، 1999م، ص81

[3] القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 5.

[4] علي حسني الخربوطي، الإسلام وأهل الذمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د.ط، القاهرة، 1969م، ص178

حياة مشابهة لجيرانهم المسلمين. كما برزت مظاهر مشاركة اجتماعية وثقافية حتى في الأعياد والمناسبات، رغم اعتراض بعض الفقهاء، مما يعكس درجة عالية من الاندماج الاجتماعي داخل المجتمع الأندلسي.

الخـــاتمة

من خلال دراستنا للحياة الاجتماعية في الأندلس عصر الدولة الأموية، يتضح أن المجتمع الأندلسي شكّل نموذجاً حضارياً متميزاً في تاريخ الغرب الإسلامي، إذ نجح المسلمون خلال الفترة الممتدة من سنة 138هـ/755م إلى سنة 422هـ/1031م في بناء مجتمع متماسك جمع بين عناصر بشرية وإثنية ودينية متعددة رغم الاختلاف الشديد والتضارب الديني والثقافي، في إطار من الاستقرار السياسي النسبي والازدهار الحضاري، وقد أسهمت تعاليم الإسلام والسياسة التي انتهجها حكام الدولة الأموية على رأسهم عبد الرحمان بن معاوية في ترسيخ قيم التعايش والتسامح، الأمر الذي مكّن مختلف فئات المجتمع من المشاركة في الحياة العامة والمحافظة على خصوصياتها الدينية والاجتماعية بل والتركيز على الرفع من مكانة هذه الدولة والإسهام في بنائها متغاضين عن كل شيء باعتبارها أرضا بكراً.

وعلى الرغم من أن الأندلس كانت بيئة خصبة للصراعات وأي شرارة قد تشعل فتيل صراعات غير قابلة للإخماد إلا أن السلطة الإسلامية عرفت كيف تتعامل مع هذا النوع من المكائد بدقة متصيدة أي دسائس تحاك في الخفاء.

هذا كان على صعيد التعايش أما عند الغوص في أعماق المجتمع الأندلسي فتتجلى بوضوح كم الاختلافات الجذرية بين عموم هذه الفئات لتوضح لنا أن هناك حركة مسيرة من الخفاء عازمة على إبقاء الناس مقسمين بدقة الى أغلبية ساحقة من الفقراء وبعض الأغنياء كطبقة حاكمة وذلك لإضفاء نوع من التوازن الطبقي فالشعوب الجائعة لا تفكر في الثورات والانقلابات على السلطة .

كما أظهرت الدراسة أن الأسرة الأندلسية مثّلت النواة الأساسية للمجتمع، وقامت بدور محوري في حفظ تماسكه واستمرار قيمه، من خلال ما اضطلعت به من وظائف تربوية واجتماعية وأخلاقية. وبيّنت كذلك أن المرأة الأندلسية لم تكن عنصراً هامشياً، بل ساهمت بدرجات متفاوتة في الحياة العلمية والأدبية والاجتماعية، بما يتناسب مع مكانتها وظروف عصرها .

ومن النتائج التي تم التوصل إليها أيضاً أن مظاهر التعايش بين المسلمين والمسيحيين واليهود لم تكن مجرد شعارات نظرية، بل تجسدت في الحياة اليومية من خلال العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية يُذكر منها على سبيل المثال الزواج الذي مثل الرابط الأسمى بين هذه الفئات فتسقط من بعده كل الفوارق الاجتماعية بأنواعها وتقام حياة على مبدأ التعايش والمنفعة الشيء الذي أسهم في إثراء المجتمع الأندلسي وإضفاء طابع حضاري خاص عليه ،في الجانب الآخر ركزنا على تنوع الأعياد والعادات والسلوكيات الاجتماعية التي عكست تفاعل مختلف مكونات المجتمع، مع بقاء المرجعية الإسلامية عاملاً أساسياً في توجيه الحياة الاجتماعية بصفتها المسير والمحرك الأساسي للدولة وهي ذات منفعة لجميع الأطراف إذ تحفظ جميع الحقوق لكل الأطراف.

بخصوص الجانب العمراني فهو يوضح لنا جيدا ما سبق من الكلام عن التسامح الديني فلا يمكن لسلطة مستبدة كما وصفها المستشرقون من أمثال إيمانويل ديفورك السماح بمنشئات دينية أخرى على أراضيها بل ستعمد بالتأكيد لهدمها واضطهاد معتنقي تلك الديانات، وبالنظر لجانب آخر فإن دراسة الجانب العمراني أتاح لنا معرفة الأوضاع المعيشية والاقتصادية للسكان .

وعليه، فإن الحياة الاجتماعية في الأندلس خلال العصر الأموي لم تكن مجرد انعكاس للواقع السياسي، بل كانت أحد أبرز مظاهر الرقي الحضاري الذي بلغته الأندلس، حيث أفرزت مجتمعاً متنوعاً ومتجانساً في آن واحد، استطاع أن يحقق قدراً كبيراً من الاستقرار والتفاعل الثقافي، وأن يترك أثراً عميقاً في تاريخ الحضارة الإنسانية. ومن ثمّ، فإن دراسة هذا الجانب من تاريخ الأندلس تسهم في فهم أعمق لآليات تشكّل المجتمعات الإسلامية الوسيطة، وتبرز الدور الحضاري الذي أدته الأندلس في بناء جسور التواصل بين مختلف الثقافات والشعوب.

الملحق رقم 01:خريطة تمثل النصف الغربي من بلاد الاندلس المطل على بحر الظلمات .[1]

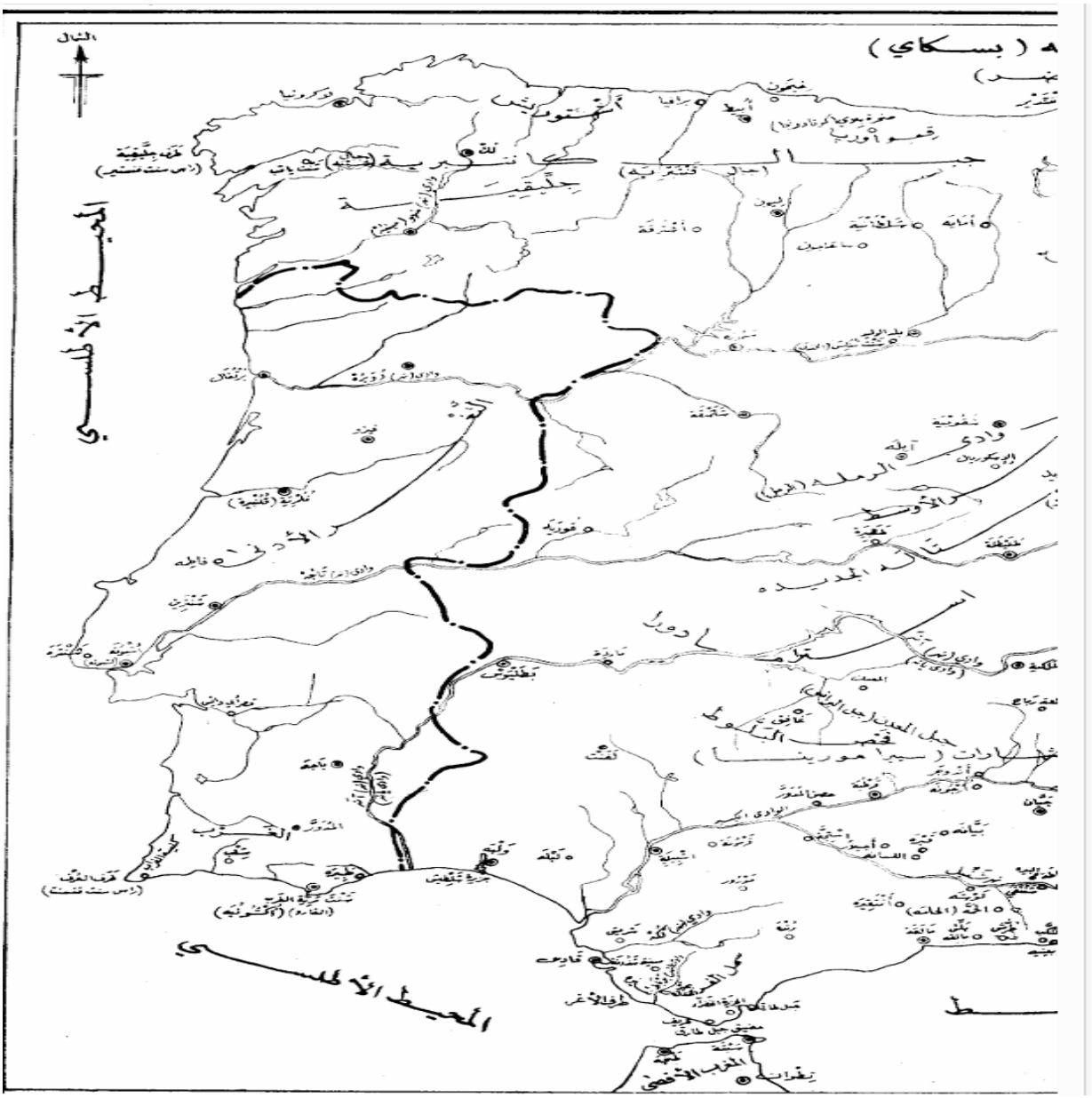

[1] نقلا عن: عبد الرحمان علي الحجي، التاريخ الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ،1402هـ -1981م، ط 2، دار القسام دمشق - بيروت، ص25

الملحق رقم 02: خريطة تمثل النصف الشرقي من بلاد الاندلس المطل على بحر الروم [1]

[1] عبد الرحمان علي الحجي، المرجع نفسه، ص24

1/ الكتب المقدسة:

ـ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

2/ كتب الحديث:

1. ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣ هـ)، سنن ابن ماجه، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي
2. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ)، السنن الكبرى، تح حسن عبد المنعم شلبي، ط1ن 1421هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت
3. البخاري الجعفي(256هـ)، الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري)، تح جماعة من العلماء، دار طوق النجاة. بيروت. ط1، 1422هـ
4. الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (1420هـ)، صحيح سنن أبي داود، ط1، 1423هـ، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت
5. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته
6. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تح نظر بن محمد الفاريابي، دار طيبة، ط1، 1427هـ

3/ المصادر:

1. : الإفصاح عن أحاديث النكاح، تح محمد شكور أمرير الميادیني، ط1، 1406هـ، دار عمار – عمان – الأردن
2. ابن الأبار القضاعي (658هـ)، الحلة السيراء، تح حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة. مصر، ط2، 1985م
3. _____، (658هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تح عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، بيروت . لبنان، 1415هـ
4. _____، (685هـ)، الحلة السيراء، تح حسين مؤنس، دار المعارف – القاهرة، ط2، 1985م
5. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت 456هـ)، رسائل ابن حزم الأندلسي، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1980م، بيروت. لبنان
6. أثير ابن الأثير(630هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، 1415هـ. 1994م،

7. أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ) . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . ط1 1423هـ . المجمع الثقافي، أبو ظبي
8. إسماعيل ابن الأحمر(807هـ)، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط . المغرب، 1972م
9. عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضي (ت 403 هـ)، تاريخ علماء الأندلس، ط2، تح السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة . مصر، 1408هـ
10. إسحاق بن الحسين المنجم . آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان . عالم الكتب بيروت . ط1 . 1408هـ
11. أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي الإشبيلي (ت ٥٢٩ هـ)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ط1، 1403هـ، تح محمد علي شوابكة، دار عمار – مؤسسة الرسالة
12. أحمد بن القاسم بن خليفة أبو العباس ابن أبي أصيبعة (ت 668هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت
13. أبو عبيد البكري، المسالك والممالك ـدار الغرب الإسلامي بيروت ،1992م /1413هـ
14. أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت 279هـ)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال- بيروت، 1988
15. أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، ط1، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة – السعودية، 1425هـ
16. ابن حزم الاندلسي (384 – 456 هـ)، جمهرة أنساب العرب، تح عبد السلام محمد هارون، دار المعارف . مصر، ص، ص 498 ،503
17. _____، (456هـ)، طوق الحمامة في الألفة والألاف، ط2، تح احسان عباس، 1987هـ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت / لبنان
18. _____، الرسائل، تح احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2007
19. الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت ٤٨٨ هـ)، جذوة المقتبس في ذكر وُلاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر – القاهرة، 1966م،
20. نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت 573 هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، ط1، 1420هـ /1999م
21. الحميري ابن عبد المنعم 900هـ/1495م . الروض المعطار في خبر الأقطار . تح احسان عباس . مؤسسة ناصر للثقافة بيروت ط2 . 1980
22. ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، تح مصطفى غازي، منشأة المعارف . الإسكندرية، 1960م
23. –ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، تح شحادة، دار الفكر، بيروت ، لبنان ، -1421

24. ابن خلكان 681هـ، وفيات الأعيان تح، حسان عباس، دار صادر، بيروت

25. أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزي الحنفي الخوارزمي (٥٣٨ - ٦١٦ هـ)، المغرِب في ترتيب المعرِب، دار الكتاب العربي – بيروت

26. جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط3، 1414هـ، دار صادر – بيروت،

27. أبي يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي (617-694هـ)، أمثال العوام في الاندلس، تح محمد بن شريف.

28. الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002 م

29. ابن زيدون، ديوان ابن زيدون، دار المعرفة . بيروت، ط1، 1426هـ

30. ابن سعيد أبي الحسن بن موسى، اختصار القدح المعلي في التاريخ المحلي، تح إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري . القاهرة، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1400هـ

31. أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي، آداب الحسبة [مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، تح ليفي بروفنسال، مطبعة إرنست لورو – باريس، 1931م

32. ابن سهل(486هـ)، ديوان الأحكام الكبرى، تح يحيي مراد، دار الحديث، القاهرة - جمهورية مصر العربية، 1428هـ

33. جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، طبقات الحفاظ، ط1، 1403هـ، دار الكتب العلمية – بيروت

34. الشريف محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني .560هـ /1165م . نزهة المشتاق في اختراق الآفاق . مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة .1422هـ/2002م

35. أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت 542هـ)، ط2، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1981م

36. محمد بن محمد المختار الشنقيطي، أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، ط2، مكتبة الصحابة، جدة

37. أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ)، المهذب في فقه الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية

38. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي المعروف بابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، بهجة المجالس وأنس المجالس،

39. أبي القاسم عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحكم (257هـ /871م)، فتوح مصر والمغرب، تح شارلز توري، الهيئة العامة للصور والثقافة، مصر

40. أبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري . البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك المغرب والأندلس . تح بشار عواد دار الغرب الإسلامي تونس . ط1 .1434هـ/2013م

41. أبو القاسم علي بن الحسن (ابن عساكر)، تاريخ دمشق، تح محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سوريا، 1415هـ /1995م

42. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ)، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تح ماهر ياسين الفحل، ط1 ،1435هـ، دار القبس للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية

43. محمد بن احمد الاموي المعروف بابن العطار (399هـ)، تح شالميتا، مجمع الموثقين المجريطي المعهد الاسباني العربي للثقافة مدريد ـاسبانيا، 1983

44. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه (ت ٣٦٥)، البلدان، ط1، تح يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، 1416هـ

45. محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشى الفهرى الأندلسي، أبو بكر الطرطوشى المالكي (ت ٥٢٠هـ)، الحوادث والبدع، تح علي بن حسن الحلبي، ط3، 1419هـ، دار ابن الجوزي

46. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي المعروف بابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، بهجة المجالس وأنس المجالس،

47. _____، (ت ٤٦٣هـ)، الكافي في فقه أهل المدينة، ط2، تح محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، 1400هـ

48. أبو عمر، يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣ هـ)، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، دار الكتب العلمية – بيروت

49. أبي مروان ابن حيان القرطبي(469هـ)، المقتبس في أخبار بلد الاندلس، ط1، تح عبد الرحمان علي الحجي، دار الثقافة بيروت ـ لبنان، المكتبة الاندلسية

50. الخشني القروي(611هـ)، قضاة قرطبة، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ـالقاهرة /دار الكتاب اللبناني بيروت، المجل د6

51. ابن القوطية القرطبي (267هـ)، تاريخ افتتاح الاندلس، تح عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطبع والنشر، بيروت/لبنان، ط1 ،1415هـ.1994م

52. علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن ابن القطان (ت ٦٢٨ هـ)، إِحْكَامُ النَّظَرِ فِي أَحْكَامِ النَّظَرِ بِحَاسَّةِ البَصَرِ، ط1، 1433هـ، تح إدريس الصمدي

53. ابن هشام اللخمي (ت ٥٧٧ هـ)، المدخل إلى تقويم اللسان، تح حاتم صالح الضامن، ط1، 1424هـ، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان

54. لسان الدين ابن الخطيب (776هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 1424هـ،

55. _____، (ت ٧٧٦هـ) . معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار . مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة . 1424هـ

56. مالك بن أنس الأصبحي (179هـ)، الموطأ، تح محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ]، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان 1406 م،

57. محمد بن حوقل البغدادي الموصلي . صورة الأرض . دار صادر أفست ليدن . بيروت . 1938م-1357هـ

58. عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين (ت 647هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تح صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت

59. أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (ت ٣٤٦هـ) التنبيه والإشراف . تص عبد الله إسماعيل الصاوي . دار الصاوي – القاهرة أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري (ت ٣٤٦هـ) . المسالك والممالك . دار صادر، بيروت . 1425هـ /2004م

60. _____، (346هـ /957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط1، تح كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت . لبنان، 1425هـ،

61.. أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (ت ٦٨٥هـ)، المغرب في حلى المغرب، ط3، 1955م، تح شوقي ضيف، دار المعارف – القاهرة

62. أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . دار صادر، بيروت . مكتبة مدبولي القاهرة، ط3 . هـ1411

63. شمس الدين المدعو المقدسي (380هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1، 1224هـ

64. المقري التلمساني أحمد بن محمد (1041هـ / 1631م) /نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت، 1408هـ / 1988م

65. تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (٧٦٦ - ٨٤٥ هـ)، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ط1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي – لندن، 1422هـ

66.. ابن منظور (711هـ)، لسان العرب، المجلد 1، دار صادر، بيروت . لبنان

67. أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، غريب الحديث، ط1، 1404هـ، تح حسين محمد شرف، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة،

68. أحمد بن إسحاق اليعقوبي(292هـ) / كتاب البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1422/

69.ـ الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الملوك الثلاث، الفصل العاشر، (بيروت مطبعة المرسلين اليسوعيين، 1882م)

70. مجهول، مجموعة أخبار في فتح الأندلس وذكر أمرائها، تح ابارهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ـ القاهرة، ط2 (1410هـ /1989م)،

4/ المراجع:

1. ـ أحمد امين، ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان، ط3
2. إبراهيم القادري بوتشيش، أثر الاقطاع في تاريخ الاندلس السياسي، رسالة دكتوراه، منشورات عكاظ، الرباط المغرب
3. _____، المغرب والاندلس في عصر المرابطين، ط1، دار الطليعة للنشر ـ بيروت، 1993م
4. أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، غريب الحديث، ط1، 1404هـ، تح حسين محمد شرف، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة
5. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ط،2 دار الثقافة، بيروت ـ لبنان، 1969م
6. أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، 1429هـ
7. توريس ليوبولد، المدن الاسبانية الإسلامية، ترجمة اليو دورو دي لابينيا، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط1، 1423هـ
8. حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الاندلس، ط1، المنظمة العربية لتربية والثقافة والعلوم
9. _____، فجر الاندلس، دار المناهل، بيروت ـ لبنان،
10. _____، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ـ دار الرشاد، ـ القاهرة، مصر ،1421هـ
11. خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت ـ لبنان
12. خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية في الاندلس، أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط2، 1994،
13. ديورنت، ول وايريل، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، بيروت، 1408هـ، ج3، ص61
14. رينهارت دوزي، المعجم المفصل، ترجمة أكرم فاضل، الدار العربية للموسوعات
15. _____، المسلمون في الاندلس، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م
16. سالم السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار النهضة العربية ن بيروت ـ لبنان، 1977م، 179/178
17. سالم بن عبد الله الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1424هـ،

18. الشيخ محمد صالح المنجد، القسم العربي من موقع (الإسلام، سؤال وجواب)، تم نسخه من الإنترنت: في 26 ذي القعدة 1430، هـ = 15 نوفمبر، 2009 م

19. صالح خالص، اشبيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة بيروت، 1385هـ

20. الطاهري احمد، المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة، مجلة بحوث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية ـ المغرب، العدد الأول، 1988 م

21. طه عبد المقصود، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، مكتبة المهتدين لمقارنة الأديان

22. عبد الله جمال الدين، تاريخ المسلمين في الاندلس، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، القاهرة ـ مصر

23. عصمت عبد اللطيف دندش، الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ط1، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، 1988م

24. علي باشا المبارك، الخطط التوفيقية، ط2، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة – مصر

25. علي حسني الخربوطي، الإسلام وأهل الذمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د.ط، القاهرة، 1969م

26. فهمي هويدي، مواطنون لا ذميون، دار الشروق، ط3، القاهرة، 1999م

27. كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، د، ط ـ الإسكندرية، 1997

28. ليفي بروقسنال، الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة الطاهر احمد مكي، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، ط3، 1414هـ 1994،

29. ليوبولد توريس بلباس، الأبنية الاسبانية الإسلامية، تعريب علية إبراهيم العناني، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد الأول، السنة الأولى، 1372هـ

30. محمد بن أبي بكر الزهري ـ ق6 هـ ـ كتاب الجغرافية ـ تح محمد حاج صادق ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ مصر

31. محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت 1230هـ)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر

32. محمد عبد الله عنان المؤرخ المصري (ت ١٤٠٦هـ) ـ دولة الإسلام في الأندلس ـ مكتبة الخانجي، القاهرة ـ ط1

33. محمود شيت خطاب (ت ١٤١٩هـ) ـ قادة فتح الأندلس ـ مؤسسة علوم القرآن – منار للنشر والتوزيع ـ ط1/هـ1424 هـ 2003 –

34. محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

35. مصطفى شكعة، المغرب والاندلس، دار الكتاب الإسلامية، دار الكتاب المصري القاهرة، ط1، 1407هـ

36. ميكيل دي ايبالزا، المستعربون أقلية هامة في الاندلس الإسلامية، ترجمة يعقوب دواني، الحضارة العربية في الاندلس، جمع سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2،

37. نعنعي، عبد المجيد، تاريخ الدولة الأموية في الاندلس، دار النهضة العربية، بيروت ـ لبنان
38. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ط4، دار الفكر – سورية – دمشق

المعاجم اللغوية:

تاج العروس من جواهر القاموس ـ محمد مرتضى ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت

المجلات والدوريات:

1. إبراهيم القادري بوتشيش، أثر الاقطاع في تاريخ الاندلس السياسي، رسالة دكتوراه، منشورات عكاظ، الرباط المغرب،
2. سليم حاج سعد، تطور المنزل الأندلسي حتى نهاية عصر الموحدين، جامعة الشهيد حمة لخضر ـ الوادي ـ الجزائر، مجلة عصور الجديدة، المجل د10، ال عدد04، بتاريخ ديسمبر 1442هـ،
3. الطاهري احمد، المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة، مجلة بحوث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية ـ المغرب، العدد الأول، 1988 م
4. عبد العزيز سالم، صور من المجتمع الاندلسي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مج 19، 1976. 1978،
5. ليوبولد توريس بلباس، الأبنية الاسبانية الإسلامية، تعريب علية إبراهيم العناني، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد الأول، السنة الأولى، 1372هـ
6. مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي، رسالة ماجيستير، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، (1411هـ/1412هـ).

4/ المراجع الأجنبية:

1. E.H. LINDO, THE JEWS OF SPAIN AND PORTUGAL (NEW YORK), P5/6.
2. Levy Provençal–op.cit
3. Saadia Radi, Sumaturel et société (L'explication magique de la maladie et du malheur à Khénifra), centre jacques Berque, Rabat 2013

فهرس الموضوعات

العنوان	رقم الصفحة
الاهداء	أ
المقدمة	6-1
الفصل التمهيدي: جغرافية الأندلس وقيام دولة الأمويين بها	19-7
أولا جغرافية بلاد الأندلس	14-7
1-أصل التسمية	8-7
2-الموقع الجغرافي وخصائصها الطبيعية	14-8
أ/. الموقع الجغرافي	12-8
ب/المدائن والثغور الأندلسية	14-12
ثانيا /شبه جزيرة ايبريا قبل الفتح الإسلامي	16-15
سكان شبه الجزيرة الإيبيرية قبل الفتح الإسلامي	16-15
ثالثا قيام الدولة الأموية بالأندلس	19-16
الفصل الأول: السكان وطبقات المجتمع.	36-20
أولا: تركيبة السكان	34-21
1/. العناصر السكانية المسلمة	30-21
أ/. العرب	23-21
ب/. البربر	25-24
ج/. الموالي	26-25
د/. الصقالبة	28-26
هـ/المولدون والأسالمة	30-28
2/. العناصر الغير مسلمة	34-31
أ/. اليهود	32-31
ب/. النصارى	34-32
ثانيا/. طبقات المجتمع الأندلسي	38-34
1/ الطبقة الحاكمة	35-34

2/ الطبقة المتوسطة	36-35
3/ طبقة العامة (الدنيا)	38-36
الفصل الثاني الاسرة الأندلسية	57-39
أولا تكوين الأسرة	48-40
1/ الزواج	45-40
2/نهاية العلاقة (الطلاق)	46-45
3/ المرأة في الاندلس	48-46
. ثانيا مهام أعضاء الأسرة	52-49
1/ النسل أو الإنجاب	50-49
2/. تربية الأبناء وتعليمهم	52-50
. ثالثا الحياة اليومية للأسرة	57-52
1/اللبس	54-52
2/. الغذاء	54-54
3/وسائلهم الترفيهية	57-55
أ/حملات الصيد	55-55
ب/الغناء والرقص والالعاب	57-55
الفصل الثالث مظاهر الحياة الاجتمـــاعية	70-58
أولا/ الأعياد والمناسبات	62-59
1/ أعياد المسلمين	60-59
2/ أعياد النصارى واليهود	62-61
أ/ أعياد النصارى	62-61
ب/أعياد اليهود	62-62
ثانيا العادات والتقاليد	65-63

1/ أساليب العلاج	64-63
2/ الجنائز والدفن	65-64
ثالثا السكن والعمارة	70-65
1/ العمارة الدينية	66-65
2/ العمارة المدنية	70-67
رابعا العلاقات الاجتماعية بين السكان	70-69
خاتمة	73-71
الملاحق	75-74
قائمة المصادر والمراجع	83-76